وعن ابن عباس أيضاً: «أن الله أخذ الميثاق على الأنبياء وعلى أممهم بنصرة رسول الله محمد ﷺ، والإيمان به، وإنما اجتزأ بذكر الأنبياء دون الأمم لأن الأمم أتباع لهم، وَهُم المخاطبون دونهم؛ لأنهم وسائط بين الله وبين خلقه صلوات الله عليهم». ويؤيده ما روي عن علي أولاً[(١)]. وعن ابن عباسٍ أيضاً أنه قال: «حين أخرجَ الله ذرية آدم من ظهره كالذر أخذ على المرسلين الميثاق بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ وينصروه»[(٢)]. قيل: وهذا تبعده قراءة حمزة ﴿**لِما آتيتكم**﴾ بكسر اللام[(٣)]، وسيأتي، لأن ظاهرها أن ذلك بعد إيتاء الكتاب والحكمة. والميثاق يجوز أن يكون مضافاً لفاعله، بأن يأخذ الله على الأنبياء أن يأخذوا الميثاق على أممهم بذلك[(٤)]، وأن يكون مضافاً للمفعول، بأن يأخذ الله ميثاقهُ عليهم بذلك، وواثقهم عليه[(٥)]. وقد أوضح هذا كله الزمخشري فقال: فيه غير وجه:-

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان (٥٤١/٥) بلفظ: ثم ذكر ما أُخِذ عليهم وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه. وأورده الثعلبي (١٠٥/٣) بنحو ما ذكره السمين. وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٧٠/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٩٩/١) وقال: هذا معنى قول ابن عباس والزجاج، والرازي في التفسير الكبير (١٢٦/٨) وقال: كثيراً ورد في القرآن لفظ النبي والمراد منه أمته؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ الطلاق: ١.

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي (٢٥١/١)، معالم التنـــزيل (٤٦٤/١) كلاهما بدون نسبة، تفسير ابن كثير (٣٢٢/٢).

(٣) قراءة متواترة: قرأ حمزة وحده بكسر اللام من (لما) وقرأ الباقون بالفتح، وقرأ نافع وحده (آتيناكم) وقرأ الباقون (آتيتكم). ينظر: السبعة ص (٢١٤)، التذكرة (٢٩١/٢)، التيسير ص (٧٥)، المحرر الوجيز (٢٧١/٢).

(٤) هو قول مجاهد والربيع. ينظر: جامع البيان (٥٥٣/٦)، معالم التنزيل (٦٢/٢)، الكشاف (٤٠٥/١).

(٥) ذكر الوجهين الرازي في التفسير الكبير (١٢٦/٨).

أحدها: أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك[(١)].

والثاني: أن يُضاف الميثاق إلى النبيين إضافته إلى الموثِق -أي: بكسر الثاء- لا إلى الموثَق عليه -أي: بفتحها- كما تقول: ميثاق الله، وعهد الله. كأنه قيل: وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم[(٢)].

والثالث: أن يرادَ ميثاق أولاد الأنبياء -وهم بنو إسرائيل- على حَذْف المضاف[(٣)].

والرابعُ: أن يُرادَ أهلُ الكتاب، وأن يُراد[(٤)] على زعمهم تهكماً بهم؛ لأنهم كانوا يقولون: نحنُ / أولى بالنبوة من محمدٍ؛ لأنَّا أهل كتاب، ومنا كان النبيون[(٥)]. [٥٠/ب] وتدل عليه قراءة ابن مسعود وأبيّ: «**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب**»[(٦)] انتهى[(٧)]. قلتُ: هذا الذي نقله عن عبد الله وأُبيّ قراءةً وُجِد في مصحفهما كذلك

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥/٥٣٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/٦٩٣)، تفسير السمعاني (١/٣٣٦)، المحرر الوجيز (٢/٢٧٠)، التفسير الكبير (٨/١٢٧).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (٨/١٢٧).

(٣) ينظر: التفسير الكبير (٨/١٢٧).

(٤) كذا في المخطوط، مع ضبط الياء بالضمة.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٧٠)، التفسير الكبير (٨/١٢٧).

(٦) قراءة شاذة: ينظر: جامع البيان (٥/٥٣٨)، ونسبها ابن المنذر في تفسيره لعبد الله ومجاهد (١/٢٧٢)، وذكرها الراغب في تفسيره (١/٦٨١) ونسبها للربيع، والكرماني في شواذ القراءات ص (١١٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/٢٩٩) ونسبها لابن مسعود، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/٥٣٢). ولو صحت فلا تنافي بينها وبين القراءة الأخرى؛ باعتبار أن المراد بالذين أوتوا الكتاب الأنبياء والرسول -عليهم السلام-. ويمكن أن يراد بهم أهل الكتاب، ومعلوم أن القرائتين إن كان لكل واحدة معنى يخصها غير معنى القراءة الأخرى فإن القراءتين بمنزلة الآيتين.

(٧) ينظر: الكشاف (١/٤٠٦).

أيضاً. ومن غريب ما ينقل عن مجاهد أنه قال: «هكذا هو: القرآن[(١)]، وإنما أخطأ الكاتب في كتابته: النبيين»[(٢)].

وهذا لا يصح عن مجاهد؛ لأنه قرأ كالعامة في المشهور عنه. وكيف يخطئ الكاتب في ذلك ويتواتر خلفاً عن سلف؟![(٣)] وهذا كما ذكروا في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَأْيَئِسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الرعد: ٣١ أن أصله: النبيين.

وكذا قوله: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾ النور: ٢٧ إنما هو: تستأذنوا، كل هذا لا يصح منه شيء[(٤)]، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر: ٩. وقرأ العامة:

---

(١) يعني أن مجاهداً -رحمه الله- قال: إن الكاتب لمصحف عثمان -رضي الله عنه- أخطأ فكتب: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ آل عمران:٨١، ولم يكتب **"وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب"** التي هي قراءة عبد الله بن مسعود وأبيّ بن كعب -رضي الله عنهما- وهذا خلاف الصواب كما سيبينه المصنف.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (٥٣٨/٥)، وابن المنذر في تفسيره (٢٧٢/١)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٧٠/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٩٩/١)، وأورده في الدر المنثور (٦٤٦/٣)، وعزاه لعبد بن حميد، والفريابي. وينظر: تفسير مجاهد (١٣٠/١). قال محقق زاد المسير (٢٩/١): رواه الطبري من طريق عيسى بن أبي عيسى الرازي عن أبي نجيح عن مجاهد به، وإسناده واهٍ إلى مجاهد لأجل عيسى هذا. ومعنى كلامه أنه يزعم أن الصواب ما في مصحف عبد الله بن مسعود وأبيّ: "وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لما آتيتكم من كتاب وحكمة".

(٣) قال ابن عطية: "وهذا لفظ مردود بإجماع الصحابة على مصحف عثمان -رضي الله عنه-". المحرر الوجيز (٢٧٠/٢).

(٤) ما أجمل هذا الرد من السمين الحلبي، دافع عن مجاهد وأنكر نسبة الكلام إليه، وفند شبهة القول بتخطئة الكاتب بالحجة والبيان، وهذا منهج يقتدى به، جزاه الله خيراً. وهناك بحث بعنوان "الجواب عمَّا خطأت به عائشة رضي الله عنها كُتَّاب المصاحف" للدكتور/جمال أبو حسان، منشور في مجلة جامعة الزرقاء الأهلية، المجلد السادس، العدد الثاني، دَرَسَ فيه الروايات التي وردت عنها رواية ودراية، وأثبت بالبرهان العلمي والبحث النقدي والموضوعي أن هذه الروايات كلها باطلة لا أساس لها من الصحة، وأن المصحف الذي يقرؤه المسلمون اليوم ليس فيه أي خطأ، وأن إجماع علماء الإسلام منذ عهد النبوة إلى اليوم قائم على ذلك.

﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾ بفتح اللام خفيفة الميم[(١)]، وحمزة كذلك غير أنه كسر اللام[(٢)]، والحسن وسعيد بن جبير: «لَمَّا» بالفتح والتشديد[(٣)]. فأما قراءة العامة ففيها أوجه:-

أحدها: أن اللام لامُ التوطئة، واللام في ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ ﴾ جواب القسم[(٤)]، وبهذا جزم الزمخشري؛ فإنه قال: واللام في ﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾ لامُ التَّوْطئَةِ؛ لأن أخذَ المِيْثَاق في مَعْنى الاستحلاف، وفي ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ ﴾ لامُ جوابِ القسَم[(٥)]. ثم جوز في ما الداخلة عليها لام التوطئة وجهين:

أحدهما: أنها شرطية.

والثاني: أنها موصولة، بمعنى الذي[(٦)]. فقال: و«ما» يحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط، و﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ ﴾ ساد مسَد جَواب القسم والشَّرْط جميعاً، وأن تكون

---

(١) القراءة متواترة: ينظر: المبسوط ص (١٤٦)، حجة القراءات لأبي زرعة ص (١٦٨)، النشر (٢٤١/٢). وقد رجح الطبري في جامع البيان (٥٣٨/٥) قراءة الفتح هذه. وقُرِأتْ بالفتح على أنها لام الابتداء و "ما" شرطية منصوبة بـ "آتيتكم" وهو معطوف بـ "ثم" جزمٌ بها على ما اختاره سيبويه. ينظر: الكتاب (١٠٧/٣).

(٢) يعني (لِمَا) وهي قراءة متواترة أيضاً، قرأ بكسر اللام وتخفيف الميم على أنها لام الجر متعلقة بـ "أخذ"، و "ما" مصدرية أي: لأجل إيتائي إيَّاكم بعض الكتاب والحكمة ثم مجيء رسول. ينظر: السبعة (٢١٣/١)، الحجة لابن خالويه ص (١١١)، المحتسب (١٦٤/١)، الكشف (٣٥١/١)، التيسير ص (٨٩)، الكشاف (٤٤١/١).

(٣) قراءة شاذة:نسبها للأعرج ابن جني في المحتسب (٢٦١/١)، ونسبها لسعيد الرازي في التفسير الكبير (١٢٨/٨)، ونسبها أبو حيان في البحر المحيط (٥٣٢/٢) للحسن وسعيد. وينظر: شواذ القراءات ص (١١٦)، إعراب القراءات الشواذ (٣٣٣/١).

(٤) ينظر: التفسير الكبير (١٢٩/٨).

(٥) ذكره الراغب في تفسيره (٦٧٨/١)، والرازي في التفسير الكبير (١٢٩/٨) قال: وهذا اختيار سيبويه. ينظر: الكتاب (١٠٨/٣).

(٦) ذكر الوجهين الزجاج في معاني القرآن (٢٩٥/١)، معاني القرآن للفراء (٢٥/١)، وإعراب وإعراب القرآن للنحاس (٣٤٨/١)، وحجة ابن خالويه ص (١١١)، زاد المسير (٣٠٠/١).

موصولة بمعنى الذي آتيتكموه لتؤمنن به[١]. انتهى. أما كون «ما» شرطية؛ فقد قال به الكسائي[٢] والزجاج[٣] والفارسي[٤] وأبو عثمان المازني[٥][٦]، ونقل ذلك أيضاً أيضاً عن الخليل وسيبويه[٧]، إلا أنه قد نقل عنهما في ذلك نص ينافي في ظاهره ذلك إلا بالتأويل الذي سنذكره عن الفارسي، وذلك أن سيبويه سأل الخليل عن هذه الآية الكريمة فقال له: «ما» هاهنا بمنزلة الذي، ودخلت اللام كما دخلت على «إن» حين قلت: والله لئن فعلتَ لأفعلن، فاللام التي في «ما» كهذه التي في «إن» / واللامُ التي [٥١/أ] الفعل كالتي في الفعل هنا. انتهى قول الخليل[٨].

قال سيبويه: ومثل ذلك ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الأعراف: ١٨، إنما دخلت اللام على نيّةِ اليمين. انتهى[٩]. فظاهر عبارة الخليل أولاً أن «ما» بمعنى الذي، لولا ما ما خطر أنه من المثال والآية، ولذلك تأول الفارسي كلام الخليل بأن قال: لم يرد الخليل بقوله: «بمنزلة الذي» أنها مَوْصولة، بل أنها اسم، كما أن «الذي» اسم، وفرَّ أن تكون حرفاً كما جاءت حرفاً في ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ هود:١١١، وفي قوله: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الزخرف: ٣٥[١٠]. انتهى. فقد تأول الفارسي ذلك على ما ذكرته لك، وجعل كونها شرطية مذهباً لهما[١١].

---

(١) الكشاف (٤٠٦/١)، وينظر: التفسير الكبير (١٢٩/٨).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٩٥/١)، إعراب القرآن للنحاس (٣٩١/١) ونسبه للكسائي.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢٩٥/١) قال: وهو أجود الوجهين.

(٤) ينظر: الحجة (٣٢/٢).

(٥) هو: بكر بن محمد بن بقية، المازني النحوي البصري، أستاذ المبرّد، من مصنفاته: علل النحو، وتفاسير كتاب سيبويه، ذكر أنه كان إمامياً ويقول بالإرجاء، مات سنة (٢٤٨)هـ. ينظر: معجم الأدباء (٣٤٥/٢)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص (٧١).

(٦) نسبه له في التفسير الكبير (١٢٩/٨).

(٧) ينظر: الكتاب (١٠٨/٣)، التفسير الكبير (١٢٩/٨).

(٨) ينظر: الكتاب (١٠٧/٣)، إعراب القرآن للنحاس (١٦٨/١).

(٩) الكتاب (٤٥٥/١).

(١٠) ينظر: الحجة (٣٢/٢).

(١١) ينظر: الحجة (٣٢/٢).

قال الشيخ: وفيه خدش لطيف جداً، وهو أنه إذا كانت شرطية كان الجواب محذوفاً؛ لدلالة جواب القسم عليه، وإذا كان كذلك فالمحذوف من جنس المثبت، ومتعلقاته متعلقاته، فإذا قلت: والله لمن جاءني لأكرمنه، فجواب «من» محذوف، التقدير: من جاءني أكرمه. وفي الآية اسم الشرط «ما»، وجوابه محذوف من جنس جواب القسم، وهو الفعل المقسم عليه، ومتعلق الفعل هو ضمير الرسول بوساطة حرف الجر، لا ضمير «ما»، فجواب «ما» المقدر إن كان من جنس جواب القسم فلا يجوز ذلك؛ لأنه يعزو الجملة الجوابية إذ ذاك من ضمير يعود على اسم الشرط. وإن كان من غير جنس جواب القسم فكيف يدل عليه جواب القسم وهو من غير جنسه؟! وهو لا يحذف إلا إذا كان من جنس جواب القسم، ألا ترى أنك لو قلت: والله لئن ضربني زيد لأضربنه؛ كيف تقدره: إن ضربني زيد أضربه، ولا يجوز أن يكون التقدير: والله لئن ضربني زيد أشكه لأضربنه، لأنّ «لأضربنه» لا تدل على «أشكه».فهذا ما يَرِدُ على قول من خرج «ما» على أنها شرطية[(١)]. انتهى. وفيما قاله الشيخ نظر؛ لجواز أن يكون الضمير العائد على اسم الشرط -وهو «ما»- مُقدَّرٌ، تقديره: لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به بسببه، أي: بسبب ذلك آتاه الله من الكتاب والحكمة. وإذا [دل][(٢)] دليل على حذف العائد فلا مانع منه، أو نقول: لا / يلزم عود ضمير من الجواب إلى اسم [٥١/ب] الشرط، وقد قال بذلك قائلون، ويدل على ذلك قول الشاعر:-

فمن تكن الحضارةُ أعجبته فأي رجال بادية تراني[(٣)]

فقوله: فأي رجال، إلى آخره؛ جواب الشرط، ولا ضمير فيها يعود على «مَنْ».

---

(١) البحر المحيط (٥٣٣/٢)، المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري (١٤٤/١).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) هذا البيت للقطامي: عمير بن شييم، وهو شاعر إسلامي مقل، ينظر: ديوان الحماسة لأبي لأبي تمام بشرح العلامة التبريزي (١٢٩/١).

وقد تقدم القول في ذلك محرَّراً في البقرة. ثم قال الشيخ: وأما قول الزمخشري: «ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعاً»[(١)] فظاهره مخالف لقول من جعل [ما][(٢)] شرطية؛ لأنهم نصوا على أن جواب الشرط محذُوف، لدلالة جواب القسم عليه، اللهم إلا أن يعني أنه من حيث تفسير المعنى لا من حيث الإعراب يسد مسدهما، فيمكن أن يقال ذلك، وأما من حيث تفسير الإعراب فلا يصح؛ لأن كلاًّ منهما -أعني الشرط والقسم- يطلب جواباً على حدة، ولا يمكن أن يكون هذا مَحْمولاً عليهما؛ لأن الشرط يقتضيه على جهة العمل فيه، فيكون في موضع جزم، والقسم يطلبه على جهة التعلق المعنوي به بغير عمل فيه، فلا موضع له من الإعراب، ومحال أن يكون الشيء الواحد له موضع من الإعراب ولا موضعَ له من الإعراب[(٣)]. انتهى. ولقائل أن يقول: المحال إنما يجيء إذا كان ذلك من جهة واحدة، أما إذا كان ذلك بوجهتين واعتبارين فلا محال، وهذا منه؛ لأنه من حيث كونه جواباً للشرط في موضع جزم، وله محل من الإعراب، ومن حيث كونه جواباً للقسم لا محل له، وهاتان جهتان مختلفتان، فلا إحالة حينئذ. وتلخص من هذا الوجه أن «ما» شرطية مفعول مقدم لـ ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ واجب التقديم؛ لأن له صدر الكلام، و﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ وإن كان ماضياً لفظاً فهو مستقبل معنىً لأنه في حيّز الشرط. و﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن كِتَٰبٍ﴾ كهي في قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ البقرة: ١٠٦، وتقدم ذلك مشروحاً في البقرة[(٤)]. وقوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ﴾ عطف على

---

(١) الكشاف (١/٤٤١).

(٢) سقطت من مخطوط المؤلف، واستدركتها من «البحر المحيط» (٢/٥٣٣).

(٣) البحر المحيط (٢/٥٣٣)، وينظر: مواقف أبي حيان النحوية من متقدمي النحاة حتى أوائل القرن الرابع الهجري من خلال تفسيره البحر المحيط جمعاً ودراسة، د. علي بن محمد الزهراني، (١/١٤٨).

(٤) يعني عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ١٠٦. وينظر: القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز، تحقيق عبد الله الصاعدي ص (٥٤).

«آتيناكم»[(١)] فحكمه كحكمه في كونه ماضياً لفظاً مستقبلاً معنىً، وحينئذ فلا بد من رابط يربط هذه الجملة المعطوفة بما عطفت عليه. و﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ جواب القسم دال على جواب الشرط كما تقدم، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على الرسول المصدّق، وتقدير الآية: ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم بهما -أي بالكتاب والحكمة- لتؤمنن بذلك الرسُول / المصدِّق. ونظير ذلك في التركيب أن تقول: لأيّ [٥٢/أ] شيء أعطيتك من درهم ودينارٍ ثم أتاك عبدٌ مخبر عني بكذا لتكرمنَّه. التقدير: والله إن أعطيتك كذا ثم أتاك عبدٌ مخبر بكذا تكرمْه لتكرمنه، فحذف «تكرمه» الذي هو جواب الشرط لدلالة «لتكرمنه» عليه. كذلك الآية الكريمة؛ التقدير فيها: والله لأي شيء آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق تؤمنوا به بسببهما لتؤمنن به، فحذف «تؤمنوا به» الذي هو جواب الشرط لدلالة ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ عليه، وإنما قدرتُ «بسببهما» ليكون في جملة الجواب ضمير يعود على اسم الشرط حتى لا يُعترض بذلك الاعتراض الذي اعترضَ به الشيخ كما قد حققناه آنفاً. **الوَجْهُ الثاني**: أن «ما» موصولة بمعنى الذي، و«آتيناكم» صلتها، والعائد محذوف تقديره: للذي آتيتكموه[(٢)]، وقوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ عطف على الصلة، و﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ متعلق بمُصدق، و«ما» هذه موصولة، و﴿مَعَكُمْ﴾ صلتها.

فإن قيل: المعطوف على الصلة صلة، فأين العائد على «ما» الأولى من هذه الجملة المعطوفة على الصلة؟ فالجوابُ من وجهين:-

أحدهما: وهو مذهب سيبويه؛ أنه محذوف تقديره: ثم جاءكم رسول به، فـ «به» هو العائد، حُذف على التدريج، أي: حذف الجار فاتصل الضمير فحذف[(٣)]؛

---

(١) كذا في المخطوط، وهي قراءة نافع. وينظر لهذه القراءة: السبعة ص (٢١٤)، التيسير ص (٨٩)، زاد المسير (٣٠٠/١)، النشر (٢٤١/٢).

(٢) الحجة للفارسي (٦٢/٣)، إعراب القرآن للنحاس (٣٤٨/١)، وحجة ابن خالويه ص (١١١ و١١٢)، وذكر الوجهين الرازي في التفسير الكبير (١٢٨/٨).

(٣) ينظر: الكتاب (١٠٧/٣).

كقوله: ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ التوبة: ٦٩، و ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ الحجر: ٩٤، على خلاف في ذلك.

والثاني: أن الربط حصل بالاسم الظاهر، وهو [صادق على][1] ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾، لأن «ما معكم» عبارة عن «ما آتيناكم من كتاب»، فهو نظير قولهم: أبو سعيد الذي رويتُ عن الخدري، ومثله:

.... وأنت الذي في رحمة الله أطمع[2]

وقوله:-

سعاد التي أضناك حب سُعادا وإعراضُها عنك استمرَّ وزادَا[3]

وهو رأي الأخفش. ويُجيز ذلك أيضاً في باب المبتدأ والخبر، فيجيز: زيد الذي قام أبو عبد الله / إذا كان أبو عبد الله كنية زيد[4]. و﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ جواب القسم [٥٢/ب] المقدر[5]، وهذا القسم المقدر وجوابه خبر المبتدأ الذي هو ما الموصُولة، والعائد هو الهاء ﴿بِهِۦ﴾ يعود على ما الموصولة ولا يعود على رسول، عكس ما تقدم في الوجه الأول، لئلا تخلو الجملة الواقعة خبراً وليست نفس المبتدأ من رابط يربطها به، وهذه الجملة المنعقدة من هذا المبتدأ الذي هو ما الموصولة وخبرها؛ وهو القسم وجوابه؛ جواب لما أفهمه قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ﴾ من القسم.

---

(١) طمس في المخطوط استدركته من الدر المصون (٢٨٥/٣).

(٢) البيت لمجنون بني عامر وليس في ديوانه، وصدره: ((فيا رب ليلى أنت في كل موطن)) وهو في المغني ص (٢٣٠)، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك (١٤٦/١)، والهمع (٨٧/١).

(٣) البيت من الطويل، ولم أجده منسوباً. وهو من شواهد شرح التسهيل لابن مالك (٢٣٨/١)، وشرح الأشموني (١٤٦/١). والشاهد فيه قوله (حب سعادا) حيث وقع الظاهر وهو (سعاد) عائدا للموصول بدل الضمير والأصل: (حبُّها) .

(٤) معاني القرآن للأخفش (٤١٣/١).

(٥) ينظر: الكشاف (٤٠٦/١).

الثالث: أن ﴿لَمَآ﴾ أصلها «لَمَّا» بالتشديد، فخففت بحذف إحدى الميمين، ولما بمعنى حين ووقت، أي: حين آتيتكم. وسيأتي توجيه ذلك مُسْتوفًى في قراءة التشديد[(١)].

الرابع: أن «ما» موصولة[(٢)] مفعول بفعل محذوف، ذلك الفعل المحذوف جواب للقسم، والتقدير: لتبلغن ما آتيناكم من كتابٍ وحكمةٍ، غير أنه حُذف لتبلغُنَّ للدلالةِ عليه. وهذا رده بعضهم بأنه لا يحفظ من كلامهم: والله زيداً، أي: والله لأضربن زيداً. وأما قراءة حمزة[(٣)] أن اللام فيها للتعليل، وهي متعلقة بـ ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ﴾ مقدراً، و«ما» مصدرية[(٤)]، وبهذا بدأ الزمخشري، فإنه قال: ومعناه: لأجل ايتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به، على أن «ما» مصدرية، والفعلان معها -يعني آتيناكم[(٥)] وجاءكم- في معنى المصدرين، واللام داخلة داخلة للتعليل على معنى: أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أني آتيتكم الحكمة، وأن الرسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف[(٦)]، انتهى.

---

(١) قراءة شاذة: نسبها للأعرج ابن جني في المحتسب (٢٦١/١)، ونسبها لسعيد الرازي في التفسير الكبير (١٢٨/٨)، ونسبها أبو حيان في البحر المحيط (٥٣٢/٢) للحسن وسعيد. وينظر: شواذ القراءات ص (١١٦)، إعراب القراءات الشواذ (٣٣٣/١).

(٢) ألحقه المؤلف بالحاشية كلمة (أحدها) وعليها علامة (صح)، ولم تظهر علامة موضع الإلحاق، ويظهر لي أن موضعها هنا، وذكر الثاني في الصفحة التالية. والله أعلم.

(٣) يعني (لِمَا) وهي قراءة متواترة. ينظر: المبسوط ص (١٤٦)، حجة القراءات ص (١٦٨)، النشر (٢٤١/٢).

(٤) ينظر: التفسير الكبير (١٢٩/٨).

(٥) المنسوب لحمزة ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ كقراءة الجمهور، أما قراءة النون والألف فهي للمدنيين نافع وأبي جعفر، ولعل المصنف اطلع على طريقٍ لحمزة لا نعرفه. ينظر: المبسوط ص (٩٣)، والنشر (١٨١/٢).

(٦) ينظر: الكشاف (٤٠٦/١).

الثاني: أن ما موصولة بمعنى الذي[(١)]، وبه ثنى الزمخشري، قال: فإن قلتَ: كيف يجوز ذلك والعطف على آتيناكم -وهو قوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ﴾- لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصلة، لأنك لا تقول: الذي جاءكم رسول مصدق لما معكم؟ قلتُ: بلى، لأن «ما معكم» في معنى «ما آتيتكم»، فكأنه قيل: للذي آتيتكموه ثم جاءكم رسول مصدق له[(٢)]. انتهى. وهذا الذي ذكره هو ما قدّمنا تحقيقه سابقاً. / وأما [٥٣/أ] سيبويه فتقدم أن مذهبه حذف العائد، وأن الأصل: ثم جاءكم به رسول[(٣)]. وقال الشيخ على الوجه الأول من وجهي الزمخشري: إلا أن ظاهر هذا التعليل الذي ذكره وهذا التقدير الذي قدره أنه تعليلٌ للفعل المقسم عليه، فإن عنى هذا الظاهر فهو مخالف لظاهر الآية؛ لأن ظاهر الآية يقتضي أن يكون تعليلاً لأخذ الميثاق لا لمتعلقه وهو الإيمان، فاللام متعلقة بِأَخَذَ، وعلى ظاهر تقدير الزمخشري تكون متعلقة بقوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾، ويمتنع ذلك من حيث إن اللام المتلقى بها القسمُ لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، تقول: والله لأضربن زيداً، فلا يجوز: والله زيداً لأضربن. فعلى هذا لا يجوز أن تتعلق اللام في «لما» بقوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾.

وقد أجاز بَعْضُ النحويين في معمولِ الجوابِ إذا كان ظرفاً أو مجروراً تَقَدُّمَهُ، وجعل من ذلك:

.... **عَــوْضُ لا نتفــرَّقُ**[(٤)]

وقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ المؤمنون: ٤٠، فعلى هذا يجوز أن تتعلق بقوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٧١).

(٢) الكشاف (١/٤٠٦).

(٣) ينظر: الكتاب (٣/١٠٨)

(٤) جزءٌ من بيتٍ للأعشى، تمامه:

((رَضِيعَيْ لِبَانِ ثَدْيِ أُمٍّ تَقَاسَمَا بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لاَ نَتَفَرَّقُ))

وهو في ديوانه ص (١٥٠). و (عَوْض): ظرف لما يستقبل من الزمان بمعنى أبداً، وهو الشاهد لتقدمه على متعلقه. ينظر: لسان العرب مادة: (عوض) (٧/١٩٢).

الثالث: أن اللام هنا تعني: بعد، نقل ذلك السجاوندي عن صاحب النظم؛ يعني الجرجاني[١]، وأنشد قول النابغة[٢]:-

توهَّمْتُ آياتٍ لها فعرفتُها لستةِ أعوام وذا العام سابعُ[٣]

أي: بعد ستة أعوام، وحينئذ تخرج اللام عن كونها للتعليل[٤]. وأما قراءة الحسن وسعيد بن جبير «لــمَّا»[٥] بتشديد الميم؛ ففيها أوجه:

أحَدُها: وهو قول سيبويه؛ إنها حرف وجوب لوجوب، وأن جوابها محذوف[٦] محذوف[٦] والتقدير: لما آتيتكم من كتاب وحكمة -أي بعض الكتاب والحكمة- ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم من الكتب والشرائع وجب عليكم الإيمان به وأن تنصروه إن أدركتم زمانه[٧].

---

(١) هو: علي بن محمد بن علي، المعروف بالسيد الشريف الجرجاني: فيلسوف، من كبار العلماء بالعربية، ودرس في شيراز، ولما دخلها تيمور سنة (٧٨٩)هـ، فرَّ الجرجاني إلى سمرقند، ثم عاد إليها بعد وفاة تيمور، فأقام إلى أن توفي سنة (٨١٦)هـ، له "التعريفات"، و"شرح مواقف الإيجي"، و"شرح السراجية"، وغيرها كثير. ينظر: الأعلام (٥/٧)، معجم المؤلفين (٢١٦/٧).

(٢) ينظر: اللامات للزجاجي ص (٧٩).

(٣) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص (٥٧) وهو من شواهد الكتاب (٨٦/٢).

(٤) عين المعاني في تفسير كتاب الله والسبع المثاني للسجاوندي (٩٤٣/٣).

(٥) بالتشديد، قراءة شاذة. المحتسب (٢٦١/١)، ونسبها للأعراج، شواذ القراءات ص (١١٦).

(٦) الكتاب لسيبويه (١٠٧/٣).

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٩٦/١)، الكتاب (١٠٧/٣).

والثاني: أنها ظرفية بمعنى حين، وبه قال الزمخشري وابن عطية إلا أنهما اختلفا في تقدير ذلك الفعل العامل فيها الذي هو بمنزلة جوابها[(١)]. قال الزمخشري: / [٥٣/ب] لـــمَّا -بالتشديد- بمعنى: حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق وجب عليكم الإيمان به ونصرته[(٢)]. وقال ابن عطية: ويظهر أن لــمّا هذه هي الظرفية، أي: لما كنتم بهذه الحال؛ رؤساء الناسِ وأماثلهم؛ أخذ عليكم الميثاق؛ إذ على القادة يؤخَذُ، فيجيء على هذا المعنى كالمعنى في قراءة حمزة[(٣)]. انتهى.

وهذا الذي ذكراه كما عرفت ماشٍ على مذهب أبي علي الفارسي[(٤)] غير ماشٍ ماشٍ على مذهب سيبويه[(٥)]، وقد حققنا ذلك قبلُ[(٦)].

الوَجْهُ الثالثُ: أن الأصل: لمنْ ما، قال ابن جني[(٧)]: أصلها «لمن ما» فزيدت «من» في الواجب على مذهب الأخفش، ثم أدغمت كما يجب في مثل هذا، فجاء لمَّا، فثقل اجتماع ثلاث ميمات، فحذفت الميم الأولى، فبقي «لَمَّا»[(٨)].

قال ابن عطية: وتتفسَّر هذه القراءةُ على هذا التوجيه الملحق[(٩)] تفسيرِ «لــما» «لـــما» بفتح الميم مخففة، وقد تقدم. وهذا الذي قاله ابن جني معه فيه الزمخشري، فقال: وقيل: أصله «لمن ما» فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات، وهي الميمان والنون المنقلبة ميماً بإدغامها في الميم، فحذفوا إحداهما فصارت «لـــمّا»، ومعناه: لمن أجل

---

(١) ينظر: الكشاف (١/٤٠٦)، المحرر الوجيز (٢/٢٦٩).

(٢) الكشاف (١/٣٧٢).

(٣) المحرر الوجيز (٢/٢٧٣).

(٤) الحجة (٣/٦٢). أي: قال باسمية لما الظرفية، وسيبويه عدها حرفاً: الكتاب (٢/٣١١).

(٥) الكتاب (٢/٣١١).

(٦) ينظر: الحجة (٣/٦٢)، الدر المصون (٣/٢٩٠).

(٧) عثمان بن جني أبو الفتح المـــوصلي، كان إماماً في العربية، أخذ عن أبي علي الفارسي، له: له: (المحتسب)، (الخصائص)، و(اللُّمَع)، و(شرح ديوان المتنبِّي)، توفي سنة: (٣٩٢)هـ. ينظر: إنباه الرواة (٢/٣٣٥)، وفيات الأعيان (٣/٢٤٦).

(٨) المحتسب (١/٢٦١)، وينظر: مغني اللبيب (٣/٤٨٥)، المحرر الوجيز (٢/٢٧٣).

(٩) كذا وفي المحرر الوجيز [المحلِّق]، ومعناه أي: البعيد، من حلَّق الطائر إذا ارتفع وأبعد. ينظر: ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٧٣).

ما آتيناكم لتؤمنن به، وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى[١]. قال الشيخ: وهو مخالف لكلام ابن جني[٢] في «من» المقدر دُخولها على «ما»، فإن ظاهر كلام ابن جني أنها زائدة، وظاهر كلام الزمخشري أنها ليست بزائدة، لأنه جعلها للتعليل[٣]. وفي قول الزمخشري: «فحذفوا إحداهما»[٤] إبهام في المحذوف، وقد عينها ابن عطية بأن المحذوفة المحذوفة هي الأولى[٥]. وهذا التوجيه في قراءة التشديد في غاية البعد، ويتره كلام العرب أن يأتي فيه مثلُه، فكيف كلام الله تعالى! وكان ابن جني كثيرَ التّمحلِ[٦] في كلام العرب[٧].

ويلزم في «لما» هذه على ما قرره الزمخشري أن تكون اللام في «لما آتيناكم» زائدة، ولا تكون اللام الموطئة؛ لأن اللام الموطئة إنما تدخل على أدوات الشرط لا على حروف الجر، لو قلتَ: أقسم بالله لَمن أجلك لأضربن عمراً؛ لم يجز. وإنما سميت موطئة لأنها توطئ ما يصلح أن يكون جواباً للشرط للقسم، فيصير جواب الشرط إذ ذاك محذوفاً / لدلالة جواب القسم عليه. وقرأ نافع: «**لما آتيناكم**» بضمير المتكلم المعظم نفسَهُ[٨]، والباقون: ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ بتاء المتكلم المضمومة[٩]، وهذه [٥٤/أ]

---

(١) الكشاف (٣٧٢/١).

(٢) قال ابن جني في قراءة سعيد بن جبير: "في هذه القراءة إغراب، وليست "لَّما" ههنا بمعروفة في اللغة، فإنها تأتي جازمة، وتكون ظرفاً، وبمعنى "لا" ولا وجه لواحدة منهن في الآية". ينظر: المحتسب (١٦٤/١).

(٣) البحر المحيط (٥٣٥/٢).

(٤) الكشاف (٣٧٢/١).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز (٢٧٣/٢).

(٦) تمحل: أي: احتال، وقيل: التمحل: القوة والشدة والتمسك. ينظر: تهذيب اللغة (٦٣/٥)، (٦٣/٥)، لسان العرب (٦١٩/١١).

(٧) قد صرّح ابن جني نفسه إلى بعد هذا الوجه، قال: "في هذه القراءة إغراب... ثم قال: هذا هذا أوجه ما فيها إن صحت الرواية بها". ينظر: المحتسب (٢٦١/١).

(٨) قراءة متواترة لنافع وأبي جعفر. ينظر: السبعة ص (٢١٤)، الحجة لابن خالوية ص (٥٣)، (٥٣)، حجة القراءات لابن زنجلة ص (١٦٩).

(٩) ينظر المراجع في الحاشية السابقة.

موافقة لما قبلها من قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾، وما بعدها من قوله: ﴿قَالَ﴾ ومن قوله: ﴿إِصْرِى﴾. والعامة على رفع ﴿مُّصَدِّقٌ﴾ نعت الرسُول، وقرأ عبد الله: «مصدقاً»[(١)]، نصبه حالاً من النكرة غير مخصصة ولا متقدماً حالها عليها، وهو قليل، قليل، وقد تقدم أن ذلك جائز عند سيبويه[(٢)]. وَحَسَّنَ أيضاً كون النكرةِ عبارةً عن شخصٍ بعينِهِ، وهو محمد رسول الله ﷺ، وبهذا قال الجمهور. و﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ متعلق [ ][(٣)] لمصدق، ويجوز أن تكون اللام مزيدة للتنويه؛ لأن العامل فرع. والذي معهم هو كتبهم وشرائعهم. وقوله: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ إن أريد بالمخاطب جميع الأنبياء وبالإيتاء كونه مهتدىً به وداعياً إلى العمل به؛ كان اللفظ على ظاهره من العموم في جميع الأنبياء، لأن كل نبي هذا سبيله[(٤)].

وإن أريد بالإيتاء الإنزال؛ كان ذلك عاماً أريد به الخاص[(٥)]. وكذلك إن كان الكلام على حذف مضافه، وأن الأصل: لما آتيت أممكم؛ كان المراد بالإيتاء كون الكتاب هادياً لهم من الضلالة[(٦)]. ويعني تصديقه لما معهم اتفاقهم على أصل التوحيد

---

(١) قراءة شاذة تنسب لابن مسعود ينظر: شواذ القراءات ص (١١٦)، إعراب القراءات الشواذ (٣٣٣/١).

(٢) الكتاب (٢٧٢/١).

(٣) طمس في المخطوط مقدار "كلمتين". ولعله: (ومتعلقه "جاءكم رسول") وهو الظاهر لأن لأن "لما معكم" لم يتقدمه فعل غيره.

(٤) ينظر: التفسير الكبير (١٣٠/٨).

(٥) ينظر: جامع البيان (٢٤٣/٥)، معاني القرآن وإعرابه (٢٩٦/١).

(٦) وهو قول مجاهد والربيع، وقد ضعَّفه غير واحد من أهل العلم. ينظر: جامع البيان (٥٤٢/٥)، المحرر الوجيز (١٤٢/٣)، والأقرب دخول الأمم في الخطاب، بما أمرهم به أنبياؤهم. قال الرازي في التفسير الكبير (١٣١/٨) والجواب عنه من وجهين: أن جميع الأنبياء -عليهم السلام- أوتوا الكتاب، بمعنى كونه مهتدياً به؛ داعياً إلى العمل به وإن لم يترل عليه. والثاني: أن أشرف الأنبياء -عليهم السلام- هم الذين أوتوا الكتاب، فوصف الكل بوصف أشرف الأنواع.

وصحة الديانات وإن اختلفت بعض الفروع، فإن الشرائع تختلف في ذلك[١]. وقدَّم ذكر الإيمان على ذكر النصرة لأن الترتيب الوجودي كذا يقع: يؤمن بذلك النبي ويتبعه ثم ينصره على من يناوئه[٢]. قيل: وفي قوله: ﴿ رَسُولٌ ﴾ دلالة على أن الميثاق المأخُوذَ هو ما قرر في العقول من الدلائل التي توجب الانقياد لأمر الله[٣]. وفي قوله: ﴿ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ دلالة على أن الميثاق هو شرحه لصفات الرسول في كتب الأنبياء[٤].

وقوله: ﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ ﴾ الظاهر أن فاعل القول ضمير الباري، وهذا من باب التوكيد والاعتناء بالأمر، إذ لم يكتف بأخذ العهد على ذلك حتى استنطقهم فنطقوا بذلك وأقروا به. وإن كان المراد بذلك أُمَمُ الأنبياءِ؛ فالمعنى أن الله تعالى استنطقهم بذلك على ألسنة رسله الكرام فنطقوا وقالوا: أقررنا / وحذف [٥٤/ب] مفعول «أقررتم» و«أقررنا» للعلم به، والتقدير: أأقررتم بذلك؟ قالوا: أقررنا به[٥]. ويجوز أن يكون الأول من باب التنازع، ويكون من إعمال الثاني، إذ الأصل: أأقررتم بذلك وأخذتم على ذلك، فأعمل ﴿ وَأَخَذْتُمْ ﴾ فأعطي الظاهر، وأهمل الأول فحذف منه ضمير التنازع فيه، وهو قاعدة البصريين. والاستفهام للتوقيف والتقرير. والإصر: العهد[٦]، وقد تقدم تحقيقه أواخر البقرة[٧]. قيل: ويجوز أن يكون فاعل ﴿ قَالَ ﴾

---

(١) ينظر: التفسير الكبير (١٣١/٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) ينظر: المرجع السابق.

(٤) ينظر: المرجع السابق.

(٥) ينظر: جامع البيان (٥٤٤/٥)، التفسير الكبير (١٣٢/٨)، لباب التأويل (٣٧٤/١).

(٦) ينظر: جامع البيان (٥٤٤/٥)، تفسير ابن المنذر (٢٧٤/١) ونسبه لمجاهد والضحاك ومحمد بن إسحاق وقتادة وأبي عُبيد، المعجم الوسيط (١٩/١)، غريب القرآن لابن قتيبة ص (١٠٧)، معاني القرآن، للنحاس (٤٣٢/١)، المحرر الوجيز (٢٧٤/٢)، زاد المسير (٣٠٠/١)، التفسير الكبير (١٣٢/٨).

(٧) عند تفسيره آخر آية من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ ﴾ البقرة: ٢٨٦. وهو مكان سقط في المخطوط.

والياء في ﴿ إِصۡرِي ﴾ لكل فرد فرد من الأنبياء المذكورين -صلوات الله وسلامه عليهم- أي: قال كل نبي لأمته حين أخذ عليهم العهد بذلك: أقررتم بهذا الذي أخذته عليكم، وأخذتم عليه عهدي الموثق؟ ومعنى الأخذ: القبول[١]. والعامة على كسر همزة إصري، وقرئ بضمها[٢]، ويروى عن عاصم من طريق أبي بكر[٣]، وفيها وجهان:-

أحدهما: أنه لغة فيها، كقولهم: ناقة عبر أسفار، يروى بكسر العين وضمها[٤]. وضمها[٤].

والثاني: أنه جمع إصار، فيكون نحو: حِمَارٍ وَحُمُرٍ، وإِزَارٍ وأُزُرٍ[٥]. ولما قيل لهم ذلك نطقو بذلك وصرحوا به، مقالة من واطأ قلبه لسانه منشرح الصدر به، فقالوا: أقررنا بذلك، وسكتوا عن قولهم: وأخذنا على ذلك إصرك؛ للعلم به، ولأن المقصود الأعظم هو الإقرار، فلذلك اقتصروا على ذكره، ولم يعيدوه في الجواب. ولما نطقوا بذلك متلذذين به أكد ذلك عليهم أيضاً بقوله: ﴿فَٱشۡهَدُواْ﴾ بذلك واحفظوه، أو: فاشهدوا عليه كما يشهد على الشيء الحاضر. ثم زاد ذلك تأكيداً بحقية ذلك بأن قال لهم: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ على صحة ذلك. وهذا يقوله من تَـيَقَّنَ الشيءَ وتحقَّقَه[٦]. وحذف مفعولي الشهادتين في قوله: ﴿فَٱشۡهَدُواْ﴾

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن ص (٢٧٢)، تفسير القرآن للسمرقندي (٢٥٢/١)، الوجيز للواحدي (٢٢١/١)، التفسير الكبير (١٣٢/٨).

(٢) ينظر: السبعة ص (٢١٤)، الكشاف (١٩٩/١)، زاد المسير (٣٠٠/١)، البحر المحيط (٥٣٥/٢).

(٣) قراءة شاذة: (أُصري) بضم الألف وهي لغة، مروية عن أبي بكر عن عاصم. ينظر: مختصر مختصر ابن خالويه ص (٢١)، إعراب القراءات الشواذ (٣٣٤/١)، المحرر الوجيز (٢٧٥/٢)، زاد المسير (٣٠٠/١)، البحر المحيط (٢٤٣/٣).

(٤) ينظر: الكتاب لسيبويه (٢٤٣/٤)، زاد المسير (٣٠٠/١).

(٥) ينظر: الكشاف (٤٠٦/١)، التفسير الكبير (١٣٢/٨)، البحر المحيط (٥٣٦/٢).

(٦) ينظر: جامع البيان (٥٤٦/٥)، غريب القرآن لابن قتيبة ص (١٠٧)، معاني القرآن للنحاس للنحاس (٤٣٢/١).

﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ للعلم به. وحَسَّنَه أخيراً تواخي الفواصل[(١)]. فإن كان فاعل القول الباري تعالى -كما هو الظاهر- فالمعنى: قال الله للأنبياء -أو لأممهم-: اشهدوا؛ أي: ليشهد بعضكم على بعض، أو اشهدوا بحقية ذلك[(٢)]. وإن كان فاعل القول النبي؛ فالمعنى: قال ذلك النبي لأمته: اشهدوا بحقيته، أو: ليشهد بعضكم على بعضٍ / [٥٥/أ] بالإقرار وأخذ الإصر، قاله مقاتل[(٣)]. وعن الزجاج أن معنى فاشهدوا: "فبيّنوا هذا الميثاق للخاصِّ والعام حتى لا يبقى لأحد عذر في الجهل بذلك[(٤)]؛ لأن الشاهد هو الذي يبين صحة الدَّعْوَى وصدقها[(٥)]. فعلى هذا يكون «اشهدوا» بمعنى: أدوا ما تحملتم وعرفتم[(٦)].

وقيل: اشهدوا معناه استيقنوا، وهذا من الشهود بمعنى الحضور، يعني أنهم صاروا مشاهدين لذلك معاينين له، كالشيء الحاضر للإنسان يشاهده ويُعاينه. وهذا مروي المعنى عن ابن عباس[(٧)]. وعن علي بن أبي طالب: «أن الخطاب للأنبياء»[(٨)]. وأن التقدير: اشهدوا على أممكم، وقيل: هو خطابٌ للملائكة، أمر تعالى

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٧٤)، التفسير الكبير (٨/١٣٢). وتوخي الفواصل يعني: تناسبها.

(٢) اختار هذا القول الطبري في جامع البيان (٣/٣٣٤)، والواحدي في الوجيز (١/٢٢١)، والسمعاني في تفسيره (١/٣٣٧)، وابن عطية في المحرر الوجيز (١/٤٦٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/٥٣٦)، وينظر: ترجيحات أبي حيان النحوية في التفسير ص (٢١٦).

(٣) الذي في تفسير مقاتل (١/١٧٩) فاشهدوا على أنفسكم بالإقرار، وكذا في زاد المسير (١/٣٥٢). وما ذكره المصنف في الكشاف (١/٤٠٦)، والمحرر الوجيز (٢/٢٧٤)، والتفسير الكبير (٨/١٣٢).

(٤) ينظر: التفسير الكبير (٨/١٣٢)، غرائب القرآن (٢/٢٠٠)، البحر المحيط (٣/٢٤٣).

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١/٢٩٦).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٧٤) بلفظ: "إعطاء المعجزات وإقرار نبواتهم".

(٧) ما ساقه المصنف في التفسير الكبير (٨/١٣٢)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/١٠٥) بلفظ: فاعلموا.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/٥٤٦) وهو اختياره، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير المسير (١/٣٠٠) ونسبه لعلي بن أبي طالب.

تعالى ملائكته أن يشهدوا بذلك[(١)]. وهذا يَتَعَيَّن أَنْ يكونَ فاعلُ القولِ الباري تعالى؛ لأنه لا يخاطب الملائكة بذلك إلا الباري تعالى، أو من يجعل الله له ذلك؛ كالأنبياء. [قال الزمخشري: ﴿فَٱشْهَدُوا۟﴾ فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار، وأنا على ذلكم من إقراركم وتشاهدكم -من الشاهدين-. وهذا توكيد عليهم، وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض. وقيل: الخطاب للملائكة[(٢)]][(٣)]. وهذه الفاءُ عاطفةٌ على شيءٍ مقدرٍ بَعْدَ قَالَ، والتقديرُ: قال أأقررتم فاشهدوا؛ ليصح العطف. فقوله: ﴿فَٱشْهَدُوا۟﴾ بعضُ المقولِ، وحَذَفَ البعضَ الآخر. وهذا بخلاف ما تقدم من قوله: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا﴾ فإن ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ و﴿أَقْرَرْنَا﴾ هو كل المقول، ولذلك لم تَدْخل عليه الفاء العاطفة كما دخلت على هذا، وصار هذا نظير قولك: أَرأَيْتَ زيداً؟ قال: رَأَيتُه، قال: فأكرمْهُ. تقديرُه: قال: أرأيتَه فأكرمْه. فحذفت «أرأيته» وعطفت عليه قولك: «فأكرمه»؛ لأنه مترتب عليه.

• قوله: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ آل عمران: ٨٢.

أي: فمن تولى ممن أقــرّ واعترف بصحة الأمر -بعد إقراره واعترافه- فأولئك هم الخارجون عن الطاعة[(٤)]. وهذا يقوي بل يُــعينَ [على][(٥)] أن المراد بالنبيين أممهم[(٦)] لأن هذا الخطاب إنما يليــق بغير الأنبياء، على أن لله تعالى أن يقول ما يشــاء ونحكيه نحن عنه وإن لم يجز لنا أن نقوله استقلالاً، كقوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان (١٠٥/٣)، معالم التنزيل (٦٢/٢)، الكشاف (٣٧٢/١)، المحرر الوجيز (٢٧٤/٢)، زاد المسير (٣٠٠/١) ونسبه لسعيد بن المسيب، التفسير الكبير (١٣٢/٨)، الجامع لأحكام القرآن (١٩٢/٥).

(٢) الكشاف (٤٠٦/١).

(٣) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف في الحاشية وعرض الصفحة وعليه علامة (صح).

(٤) ينظر: تفسير الكشاف (٤٠٧/١).

(٥) أضفت (على) لأجل السياق.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٩٦/١).

﴿ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ طه: ١٢١.[١] / غير دين الله، وإنما جاء تقديم المفعول هنا من باب [٥٥/ب] الاتساع، ولشبه ﴿يَبۡغُونَ﴾ آل عمران: ٨٣، بالفاصلة بآخر الفعل[٢]، انتهى. وهذا الاعتراض الذي اعترض به عليه؛ وإن كان ظاهره الجودة؛ إلا أنه يحتمل حذف مضاف تقديره: إلى عبادة المعبود بالباطل، فحينئذ إنما يوجه الإنكار على فعل لا ذات. وقرأ ﴿يَبۡغُونَ﴾ بيَاء الغيبة أبو عمرو وحفص[٣]، ونسبها ابن عطية لعاصم بكماله[٤]، فالياء على نسق ما تقدم من الغيبة في قوله: ﴿هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[٥]، والباقون على الخطاب[٦].

وهو محتمل أن يكون التفاتاً التفته من الغيبة إلى خطابهم زيادة في التوبيخ لعلهم ينتهون، وأن يَكون انتقالاً، أي: انتقل من الإخبار إلى خطاب الحاضرين بذلك، تحذيراً من الوقوع فيه[٧]. والفرق بين الوجهين أن الضميرين -أعني ضمير الغيبة وضمير الخطاب- على الوجه الأول عبارتان عن شيء واحد، وعلى الثاني ليس

---

(١) من هنا لا يلتئم الكلام بما قبله كما ترى، وشرع في إعراب الآية التالية وهي قوله تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ آل عمران: ٨٣. وهذا النقل جزء من كلام أبي حيان في البحر المحيط (٢٤٦/٣)، قال أبو حيان: "وانتصب: غَيْرَ، على أنَّه مفعول يبغون..." حتى وصل إلى قوله: "غير دين الله...". والله أعلم.

(٢) البحر المحيط (٢٤٦/٣).

(٣) قراءة متواترة: ينظر: السبعة ص (٢١٤)، التيسير ص (٧٥)، المحرر الوجيز (٢٧٤/٢)، النشر (٢٤١/٢)، الإتحاف ص (١٧٧). قال ابن أبي مريم في كتابه الموضح في جوه القراءات وعللها (٣٧٩/١) عن قراءة الغيب هذه: "وذلك لأن المختبر عنهم غُيّبٌ، فجاء الخبر على لفظ الغيب".

(٤) وهو كذلك. ينظر: المصادر السابقة.

(٥) معاني القرآن للنحاس (٤٣٢/١)، التفسير الكبير (١٣٣/٨).

(٦) مصادر القراءة السابقة. قال ابن أبي مريم: "وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب لأن التقدير: فقل لهم يا محمد أفغير دين الله يبغون، ويدل على ذلك قوله: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ آل عمران: ٨٤." الموضح في وجوه القراءات وعللها (٣٧٩/١).

(٧) ينظر: التفسير الكبير (١٣٣/٨).

كذلك، بل كل ضَميرٍ لفريقٍ غير الآخر، فهذا فرق ما بين الانتقال والالتفات[١].
وقال الزمخشري: وقرئ «يبغون» بالياء، و«ترجعون» بالتاء، وهي قراءة أبي عمرو[٢] لأن الباغين هم المتولون، والراجعون جميع الناس. وقُرِئَتَا بالتاء والياء معاً[٣]. ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ﴾ أي: استسلم وانقاد من في السماوات من ملك وفلك وشمس وقمر وكوكب وغير ذلك من المخلوقات، والأرض من إنس وجان ودواب وجبال وبحار ونبات وغير ذلك من العالم السفلي[٤].

واختلف المفسرون في معنى ﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ فعن ابن عباس: «طوعاً بحالته الناطقة عند أخذ الميثاق عليه، وكرهاً عند دعاء الأنبياء عليهم السلام لهم إلى الإسلام»[٥]. وعن الحسن: «أسلم قوم طوعاً، وقوم بالسيف خوفاً منه»[٦]. وعن مجاهد: «سجود ظل المؤمن طائعاً، وظل الكافر كرهاً»[٧]، كما قال تعالى:

---

(١) ينظر: حجة ابن خالويه ص (١١٢)، وحجة أبي زرعة ص (١٧٠)، والكشف (٣٥٣/١).

(٢) السبعة ص (٢١٤)، التيسير ص (٨٩)، النشر (٢٤١/٢)، الإتحاف ص (١٧٧).

(٣) ينظر: المصادر السابقة. قال الطبري: "وأولى ذلك بالصواب قراءة من قرأ: "أفغير دين الله تبغون" على وجه الخطاب، و "إليه ترجعون" بالتاء، لأن الآية التي قبلها الخطاب لهم، فاتباع الخطاب نظيره أولى من صرف الكلام إلى غير نظيره، وإن كان الوجه الآخر جائزاً". جامع البيان (٥٤٨/٥).

(٤) ينظر: جامع البيان (٥٤٩/٥)، معاني القرآن وإعرابه (٢٩٧/١)، المحرر الوجيز (٢٧٤/٢)، (٢٧٤/٢)، زاد المسير (٣٠٠/١)، التفسير الكبير (١٣٣/٨). قال ابن عطية: أسلم في هذه الآية بمعنى: استسلم عند جمهور المفسرين.

(٥) رواه الطبري في جامع البيان (٥٥٠/٥)، ونسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٧٥/٢). (٢٧٥/٢).

(٦) روى قريب منه الطبري في جامع البيان (٥٥١/٥)، ونسبه للحسن بن أبي الحسن ابن عطية في المحرر الوجيز(٢٧٥/٢)،وابن الجوزي فيزاد المسير (٣٠٠/١)، وأبو حيانفيالبحر المحيط.

(٧) رواه الطبري في جامع البيان (٥٥٠/٥) نحوه من عدة طرق. وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٩٧/٢)، ونسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٧٥/٢)، وذكره عن مجاهد ابن ==

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ الرعد: ١٥. وقال الزمخشري: طوعاً بالنظر في الأدلة والإنصاف / من نفسه، وكرهاً بالسيف، وبمعاينة ما يلجئ إلى الإسلام، كنتق الجبل على بني إسرائيل، وإدراك الغرق فرعون، والإشفاء على الموت ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ ﴾ غافر: ٨٤[(١)]. وعن الكلبي: «طوعاً بالولادة على الإسلام[(٢)]، وكرهاً بالسيف»[(٣)]. وعن الزجاج: الإسلام هنا الخضوع لنفاذ أمره جِبلَّتهم، لا يقدر أحد أن يمتنع مما جُبِل عليه ولا أن يُغيره[(٤)]. [٥٦/أ]

وهذا قريب من قول ابن كيسان: «وله خضع من في السماوات والأرض فيما صَوَّرهم فيه، ودبرهم عليه، وما يُحْدِث فيهم فهم لا يمتنعون عليه، كرهوا ذلك أو أحَبُّوه، رَضُوا بذلك أو سخطوه»[(٥)]. وعن مجاهد وأبي العالية[(٦)] والشعبي: «أسلم أقر

==

الجوزي في زاد المسير (٣٠١/١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥٣٨/٢)، وينظر: تفسير مجاهد ص (٢٥٥).

(١) الكشاف (٢٩٠/١). وينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٥٩/١)، إرشاد العقل السليم (٥٤/٢).

(٢) يعني بالولادة على الفطرة، كما قال -ﷺ-: «ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانِه أو ينصرانِه، أو يمجسانِه، كما تُنْتَج البهِيمة بهيمةً جمعاء، هل تُحَسُّون فيها من جدعاء». أخرجه البخاري (٩٥/٢) كتاب الجنائز. باب: ما قيل في أولاد المشركين، وأخرجه مسلم في كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة.رقم: (٢٦٥٨).

(٣) ينظر: الكشف والبيان (١٠٧/٣)، معالم التنـــزيل (٤٦٥/١).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢٩٧/١)، ونسبه للزجاج ابن الجوزي في زاد المسير (٣٠١/١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥٣٨/٢).

(٥) نقله في الكشف والبيان (١٠٧/٣)، ونحوه في التفسير الكبير (١٣٥/٨).

(٦) أبو العالية: رفيع بن مهران الرياحي البصري (٩٠)هـ: أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي -ﷺ- بسنتين، تابعي ثقة، من كبار التابعين. لم يكن أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة منه. (تهذيب التهذيب ٢٤٦/٣).

بالخالقية والعبودية، وإن كان فيهم من أشرك في العبودية، فمن أشرك أسلم كرهاً، ومن أخلص أسلم طوعاً»[١].

وعن مطر الوراق[٢]:«أسلم من في السماوات طوعاً، وكذلك الأنصار وبنو سُليم[٣] وعبد القيس[٤]، وأسلم سائر الناس كرهاً حَذرَ القتال والسيف»[٥]. و﴿أَسْلَمَ﴾ على هذا القول في ضمنه الإيمان[٦]. وعن قتادة: «إسلام الكافر كرهاً هو هو الإسلام عند الموت والمعاينة حيث لا ينفعه»[٧].

---

(١) رواه عن الثلاثة الطبري في جامع البيان (٥٤٩/٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٩٦/٢) من طريق أبي جعفر به، ونسبه للشعبي ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٧٥/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٠١/١) وزاد نسبته لأبي العالية.

(٢) هو: أبو رجاء مطر بن طهمان الورّاق: خراساني سكن البصرة، وكان يكتب المصاحف. روى عن أنس والحسن البصري وعكرمة وغيرهم، مات سنة (١٢٩)هـ. ينظر: تاريخ الإسلام (٥٦٦/٣)، تهذيب التهذيب (١٩٨/٨).

(٣) هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. ينظر: جمهرة أنساب العرب (٢٦١/١).

(٤) هو بنو عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزاز. ينظر: جمهرة جمهرة أنساب العرب (٢٩٥/٢).

(٥) رواه الطبري في جامع البيان (٥٥٢/٥) بلفظ مقارب، وانتقد ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٧٥/٢١) هذا القول، فقال: إذ من أهل الأرض من لم يسلم طوعاً ولا كرهاً على هذا الحد، وذكره الرازي في التفسير الكبير (١٣٥/٨) دون نسبة.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز (٢٧٥/٢).

(٧) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٢٥/١)، والطبري في جامع البيان بروايتين (٥٥٢/٥) قريبة قريبة المعنى بما ذكره المصنف، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٩٧/٢) عن الحسن بن يحيى به، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٧٥/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٠٠/١) ونسبه لقتادة، والرازي في التفسير الكبير (١٣٥/٨) دون نسبة، وأبو حيان في البحر المحيط (٥٣٨/٢)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤٨/٢) إلى عبد بن حميد.

قال ابن عطية: ويلزم على هذا أن كل كافر يفعل ذلك، وهذا غير موجود إلا في أفراد[(١)]. وعن عكرمة: «طوعاً باضطرار الحجة»[(٢)]. ولما ذكر الشيخ ما قدمناه عن الزمخشري[(٣)] قال: فلفق الزمخشري تفسير ﴿طَوْعًا﴾ من قول عكرمة، وتفسير قوله: ﴿وَكَرْهًا﴾ من قول مطر الوراق. ثم قال: والذي يظهر عموم من في السماوات، وخصوص من في الأرض، والطَّوْع هو الذي لا تكلف فيه، والكره ما فيه مشقة، فإسلام من في السماوات طوع صرف، إذ هم خالون من الشهوات الداعية للمخالفة، وإسلام من في الأرض؛ من كان منهم معصوماً كان طوعاً، ومن كان غير معصوم كان كرهاً، بمعنى أنه فيه مشقة؛ لأن التكاليف جاءت على مخالفة الشهوات النفسانية، فلو لم يأت رسول مبشر بالثواب ومنذرٌ بالعقاب لم يلتزم الإنسانُ شيئاً من التكاليف[(٤)].

وهذه الأقوال لا تُخْرِجُ ﴿أَسْلَمَ﴾ فيها عن أن يحمل على الاستسلام، وعلى / الاعتقاد، وعلى الإقرار باللسان، وعلى التزام الأحكام، وقد قيل بهذا كله، انتهى[(٥)]. [٥٦/ب]

والجملة من قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في موضع نصب على الحال. والظاهر أن صاحب الحال الفاعل، وهو الواو من ﴿يَبْغُونَ﴾، أو مفعول ﴿يَبْغُونَ﴾، وهو «غير»، والرابط الواو فقط. ويجوز عند من يرى جواز مجيء الحال من المضاف إليه أن تكون حالاً من [لفظ][(٦)] الجلالة، والرابط حينئذ شيئان: الواو الواو والضمير[(٧)].

---

(١) المحرر الوجيز (٢/٢٧٥).

(٢) ذكره في الكشف والبيان (٣/١٠٧).

(٣) الكشاف (١/٤٠٧).

(٤) ينظر: ترجيحات أبي حيان في التفسير ص (٢١٨)؛ فقد بسط أقوال المفسرين السابقة، وخلاصة ما ذكره: أن ما ذهب إليه الزجاج من أن المراد استسلامهم وخضوعهم جميعاً لأمر الله تعالى وقدره؛ أقربها وأعمها في معنى الآية.

(٥) البحر المحيط (٣/٥٣٨). وينظر: جامع البيان (٥/٥٤٩)، تفسير القرآن للسمرقندي (١/٢٥٢)، الكشف والبيان (٣/١٠٦)، تفسير الراغب (١/٦٨٥).

(٦) أضفتها لأجل السياق.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١/٢٩٧)، الكشاف (١/٤٠٧)، الإملاء (١/١٤٢).

[وفيه من البديع الطباق قوله: ﴿ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾][(١)]. وانتصاب ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ على أحد وَجْهين:-

- إما الحالية؛ أي: طائعاً وكارهاً[(٢)]، [وبهذا جزم الزمخشري[(٣)]، إلا أنه اعتبر معنى «من» في تقدير الحال؛ فقال: طائعين ومُكرهين، وقدر أيضاً «مكرهين» اسم مفعول لأنه مناسب لتفسير كرهاً: بالسيف، أو ما يلجئ، والأمر قريب. وقدم الجار في قوله: ﴿وَلَهُۥ ﴾ على ما تعلق به إما للاختصاص؛ أي: له خاصة لا لغيره أسلم من ذكر، وإما للاهتمام والاعتناء][(٤)].

- وإما على المصدرية على خلاف الصَّدْر.

وقرأ العامة ﴿كَرْهًا ﴾ بفتح الكاف[(٥)]، والأعمش بضمها[(٦)]، وهل هما لغتان بمعنى بمعنى أو بينهما فرق؟ سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى محرراً في السورة تحتها عند قوله: ﴿أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ النساء: ١٩، فإنَّه قد قرئ بالوجهين في السبع في النساء في التوبة وفي الأحقاف خاصة، فأخرنا الكلام عليهما إلى هناك.

---

(١) ما بين المعقوفتين ألحقها المؤلف في الحاشية وعليه علامة (صح).

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٣٦٧/٥)، والبحر المحيط (٥٣٨/٢)، والدر المصون (٢٩٦/٣).

(٣) ينظر: تفسير الكشاف (٢٩٠/١).

(٤) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف في الحاشية وعرض الصفحة.

(٥) قراءة متواترة: ينظر: السبعة ص (٢١٤)، الكشاف (١٩٩/١)، البحر المحيط (٥٣٨/٣).

(٦) قراءة شاذة: ينظر: شواذ القراءات ص (١١٦)، عين المعاني (٩٤٦/٣)، ويرى بعض اللُّغويين أنه لا فرق بين الفتح والضم، لأنهما لغتان للعرب، لا فرق بينهما، وذهب ابن قتيبة إلى أن الكُره بالضم المشقة، وبالفتح: الإكراه. وهو بمعنى ما ذكره الراغب بقوله: وقيل الكَرْه المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه، والكُره ما يناله من ذاته وهو يعافه. ينظر: تفسير غريب القرآن ص (١٠٨)، تهذيب اللغة (كره) (١١/٦)، شرح الهداية ص (٤٣٨)، المفردات ص (٤٢٩).

ثم ختم الآية بوعيد عظيم، وهو أن من مَرْجع الخلائق كلهم إليه -أي إلى جزائه ثواباً وعقاباً- ويتعين أن لا يُبتغى غير دينه ولا يتبع غير ما أمر به[(١)]. وقدم الجارّ على ما تعلق به للاختصاص؛ أي: إليه خاصة لا إلى غيره يرجعون. وفي هذه الجملة وجهان:-

أحدهما: وهو الأليق بالمقام، والأربط للكلام بعضه ببعض؛ أن تكون نسقاً على الجملة قبلها، فتدخل في حكم الحالية، وكأنه تعالى وبّخهم على ابتغاء غير دين من كان بهاتين الصفتين العظيمتين؛ مَنْ أذعن له وانقاد مَنْ في العالم العلوي والعالم السُّفْلي، ومَنْ إليه مرجع جميع المكلفين فيجازيهم على حسب أعمالهم[(٢)].

والثاني: أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب، أخبر تعالى بأنه يرجع إليه المخلوقات فيحكم بينهم بعدله، ويقضي بينهم بحكمه. وقرأ حفص ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالغيبة، والباقون بالخطاب[(٣)].

[أ/٥٧] فأما قراءة حفص فيحتمل أن يكون المراد بهذا الضمير / من عاد عليه ضمير يبغون، ويحتمل أن يكون عائداً على مَنْ في السماوات والأرض، وعلى كلا التقديرين فلا التفات.

وقال الشيخ: يحتمل أن يكون عائداً على مَنْ أسلم، ويحتمل أن يكون على ضمير ﴿يَبْغُونَ﴾، فيكون على سبيل الالتفات على قراءة من قرأ «تبغون» بالتاء، إذ يكون قد انتقل من خطاب إلى غيبة[(٤)]، انتهى. وفيه نظر؛ لأن حفصاً قرأ ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء على الغيبة أيضاً، فلو قرأ «تبغون» بالخطاب ثم قرأ ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالغيبة جاء ما قال.

---

(١) ينظر: جامع البيان (٥٥٣/٥)، التفسير الكبير (١٣٣/٨).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٥٣٨/٢)، وزاد تفصيله (٣٤٣/١)، عند تفسير (الآية:٤٣) من سورة البقرة.

(٣) قراءة متواترة. ينظر: السبعة ص (٢١٤)، التيسير ص (٨٩)، النشر (٢٤١/٢).

(٤) البحر المحيط (٥٣٨/٢).

وقد يُجاب عن الشيخ بأنه ذكر مع حفص عياشاً[(١)] ويعقوب[(٢)]، وغيرهما، فيجوز أن يكون من ذكر مع حفص «تبغون»بالخطاب، و ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالياء، وذلك متوقف على نقل، فلذلك انتقدت عليه مقالته، وكأنه غفل عن قراءة حفص في ﴿يَبْغُونَ﴾ فلذلك نحا إلى ما حكيته عنه.

وأما قراءة الباقين؛ فإن عاد الضمير على من في السماوات كان التفاتاً إن قصد خطابهم بذلك، أو انتقالاً إن قُصد خطابُ الحاضرين. وإن عاد على ما عاد عليه واو يبغون؛ فعلى قراءة أبي عمرو يكون التفاتاً؛ لأنه يقرأ ﴿يَبْغُونَ﴾ بالغيبة، هذا إن قصد خطابهم بذلك، وإلا كان انتقالاً كما تقدم[(٣)]، وعلى قراءة غير أبي عمرو لا التفات فيه؛ لأنهم يقرؤون -خلا حفصاً- «تبغون» بالخطاب[(٤)]، ويجوز أن يكون انتقالاً إن قصد خطاب الحاضرين كما بيناه. وقد أخل الشيخ هنا فلم يفصل شيئاً من ذلك، وهذا إنما يعرفه من يستحضر نقل القراءات، وكأنَّ الشيخ وَكَلَ ذلك إلى من يعرفه.

• قوله: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ آل عمران: ٨٤.

وجه مناسبتها لما تقدمها أنه تعالى لما أنكر على من يبتغي ديناً غير دين الإسلام عقّب ذلك بأن أمر نبيه والمؤمنين أن يتبجحوا بالنطق بهذه الكلمة الشريفة، ويَجْأروا بها جُؤاراً؛ فرحاً بها وابتهاجاً بحصولها، وافتخاراً بالتلبس بها[(٥)]. وفيه قمع لمن ابتغى ديناً غير دين الله. وأمره وحده بالقول ثم جمعه مع غيره / في الإيمان مَنْبَهَةٌ على تشريفه [٥٧/ب]

(١) عياش بن محمد أبو الفضل الجوهري البغدادي مشهور، روى القراءة سماعاً عن أبي عمر الدورين، توفي سنة (٢٩٩)هـ. ينظر: غاية النهاية (٢٧/١).

(٢) قراءة متواترة، فتح الياء وكسر الجيم يعقوب. ينظر: السبعة ص (٢١٤)، التيسير ص (٨٩)، النشر (٢٤١/٢).

(٣) تقدم قبل سطرين تقريباً.

(٤) قراءة التاء هي لنافع وابن كثير وابن عامر وشعبة عن عاصم وحمزة والكسائي وأبي عمرو. ينظر: التذكرة (٢٩١/٢)، التيسير ص (٧٥).

(٥) ينظر: التفسير الكبير (١٣٥/٨).

بالاختصاص والأثرة عند ربه، وأنه منه بمكان رفيع حيث يفرده بالخطاب أولاً ثم ينهي إليه الحكم الوارد عليه وعلى غيره، ومثله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ﴾ الطلاق: ١[1]. قال الزمخشري: أمر رسوله ﷺ أن يخبر عن نفسه وعن من تبعه بالإيمان، فلذلك وحد الضمير في قوله: ﴿ قُلْ ﴾، وجمعه في ﴿ ءَامَنَّا ﴾ ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك؛ إجلالاً لقدر نبيه ﷺ[2]. وقال ابن عطية: قل يا محمد أنتَ وأمتُك: آمنا بالله[3]. قال الشيخ: فيظهر من كلام ابن عطية أن ثَمَّ معطوفاً حذف، وأن الأمر متوجه إلى النبي [ﷺ] وأمته[4].

قلتُ: لم يُرد ابن عطية تفسير الإعراب، إنما قصد تفسير المعنى، ولا شك أن المعنى على ذلك. ويقوي ذلك قوله تعالى آخراً: ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾، وإنما أفرد بالذكر في الأمر بالقول لتقدم ذكره في أخذ الميثاق، وفي قوله أيضاً: ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ آل عمران: ٨١، فلما تقدم ذكره في عموم النبيين، وخصوصاً في قوله: ﴿ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ ﴾ عُين بهذا الخطاب مَنْبَهَة على أنه هو المراد بما تقدم في العموم والخصوص، وإنما جمع في ﴿ ءَامَنَّا ﴾ آل عمران: ٨٤، لأن التكليف بذلك ليس خاصاً بشخص دون شخصٍ من العقلاء، ألا ترى إلى قوله: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ ﴾ البقرة: ٢٨٥، كيف حكم على الجميع بذلك![5]، وهذه الآية شبيهة بآية البقرة، إلا أنَّ هنا تعدى الإنزال بـ «على» وهناك بـ «إلى»، وهناك بـ «إلى»، وهنا صدرت بـ ﴿ قُلْ ﴾ لمخاطب واحد، وهناك ﴿ قُولُوٓاْ ﴾ البقرة: ١٣٦، لمخاطبين، وهُناك ﴿ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ ﴾ البقرة: ١٣٦، بإعادة ﴿ وَمَآ أُوتِيَ ﴾، وهنا بإسقاطها. أما الاختلاف في التعدي؛ فقال الزمخشري: فإن قلتَ: لم عدى ﴿ أُنزِلَ ﴾ في هذه الآية بحرف الاستعلاء

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٦٩/١)، التفسير الكبير (١٣٥/٨).

(٢) الكشاف (٣٧٣/١). وينظر: جامع البيان (٥٥٤/٥)، التفسير الكبير (١٣٦/٨).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٢٧٦/٢).

(٤) البحر المحيط (٥٣٩/٢).

(٥) ينظر: التفسير الكبير (١٣٥/٨).

وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء؟ قلتُ: لوجود المعنيين جميعاً؛ لأن الوحي يترل من فوق وينتهي إلى الرسل، فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر[(١)]، انتهى.

وهذا الجواب لا يكاد ينهض[(٢)]، فإن السؤال أخص من ذلك، وهو: فلِمَ اختص هذا المكان بـ «على» وذاك بـ «إلى»، مع تغاير المعنيين كما ذكر؟! وقال ابن عطية: الإنزال على نبي الأمة إنزال عليها[(٣)] انتهى.

وهذا الجواب غير مطابق للسؤال، وإنما يصلح هذا جواباً عن سؤال آخر وهو أنّ الإنزال / مباشرة وحقيقة إنما هو على الأنبياء أو إليهم، فلم قيل: علينا، وإلينا؟ [٥٨/أ]

فجوابه أن الإنزال على النبي إنزال على أمته، باعتبار أنه واسطة بين الرب تعالى وبين خليقته.

ولقائل أن يقول: إذا جعلنا الضمير في ﴿عَلَيۡنَا﴾ و ﴿إِلَيۡنَا﴾ البقرة: ١٣٦، للرسول ولأمته كأن في ذلك جمعاً بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة، لأن الإنزال على الرسول وإليه حقيقة، وعلى غيره وإليه مجاز، ولا يخلو ذلك عن نظر[(٤)]. وقال الراغب: إنما قال هنا ﴿عَلَيَّ﴾ لأن ذلك لما كان خطاباً للنبي ﷺ، وكان ذلك واصلاً إليه من الملأ الأعلى بلا واسطة بشرية؛ كان لفظ ﴿عَلَيَّ﴾ المختص بالعلو أولى به، وهناك لما كان خطاباً للأمة وقد وصل إليهم بوساطة النبي ﷺ، كان لفظ «إلى» المختص بالاتصال أولى[(٥)]، انتهى. والزمخشري اطلع على هذا الجواب ولم يرتضه فقال: ومن قال إنما قال: ﴿عَلَيۡنَا﴾ لقوله: ﴿قُلۡ﴾، وقوله: ﴿إِلَيۡنَا﴾ البقرة: ١٣٦، لقوله: ﴿قُولُوٓاْ﴾ البقرة: ١٣٦، تفرقة بين الرسول والمؤمنين؛ لأن الرسول يأتيه الوحي على جهة الاستعلاء، ويأتيهم على وجه الانتهاء؛ فقد تعسَّف، ألا ترى إلى قوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ البقرة: ٤، ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ المائدة: ٤٨، وفي قوله: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) الكشاف (٤٠٨/١). وينظر: التفسير الكبير (١٣٦/٨)، الدر المصون (٢٩٨/٣).

(٢) أي: لا يكاد ينهض بدليل قاطع.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٢٧٦/٢).

(٤) يعني: استحالة حصوله.

(٥) تفسير الراغب (٦٨٩/١).

﴿ ءَامَنُواْ ﴾ آل عمران: ٧٢ [(١)]، انتهى. فأتى بما ينقض الاستعلاء في جهة الرسول، وبما ينقض الانتهاء في جهة المؤمنين. وقال الراغب أيضاً: ويجوز أن يقال: «أنزل عليه» إنما يحمل على ما أمر المنزل عليه أن يبلغه غيره، و«أنزل إليه» على ما خصه به في نفسه، وإليه نهاية الإنزال، وعلى ذلك ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ العنكبوت: ٥١، وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ النحل: ٤٤، خُص هنا بإلى لما كان مخصوصاً بالذكر [الذي] [(٢)] هو بيان المنزل. وهذا كلام في الأولى لا في الوجوب، انتهى [(٣)].

وهذا الجوابُ [(٤)] منقوض أيضاً بما نقض به الأول. وإذا كان هذا كذلك؛ فالجواب أن هذا من التفنن في البلاغة، وهذا الجواب وإن كان أسلم إلا أن فيه استرواحاً وعدم تكلف. وأما زيادة ﴿ وَمَآ أُوتِيَ ﴾ هناك وعدمها هنا؛ فلأن هناك الخطاب عام لقوله: ﴿ قُولُوٓاْ ﴾ البقرة: ١٣٦، والعموم يناسب البسط والإسهاب، وهنا الخطاب خاص، لقوله: ﴿ قُلْ ﴾، والخصوص يناسب الإيجاز مع المحافظة / على المعنى [٥٨/ب] في الجميع [(٥)]. وهذه الأمور الخطابية يكتفى في الفرق فيها بمثل ذلك. وقد تقدم طرف من ذلك في البقرة، وأعدناه هنا لما وعدناه هناك من البَسْطِ. وتقدم تفسير بقية الآية الكريمة هناك.

• قوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ آل عمران: ٨٥. هذا تأكيد لمعنى قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٨٤، ولقوله: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ آل عمران: ٨٣، فإن دين الله هو الإسلام، أي: ومن يطلب ديناً غير دين الإسلام فيدين به فلن يقبل منه ذلك الدين وهو ردٌّ عليه، ومع كونه ردّاً عليه يعاقب في الآخرة ويخسر نفسه؛ كقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾

---

(١) الكشاف (١/٤٠٨). وينظر: التفسير الكبير (٨/١٣٧).

(٢) سقط من المخطوط، واستدركته من تفسير الراغب (٢/٦٩٠).

(٣) تفسير الراغب (١/٦٩٠).

(٤) كلمة «الجواب» ألحقها المؤلف بين السطرين.

(٥) ينظر: تفسير الراغب (١/٦٩٠).

الأنعام: ١٢[(١)]، وقيل: الخسران حرمان الثواب، شبه من حرم الثواب الأخروي بمن خسر في متجره؛ لأنه كان بصدد أن يربح ذلك الثواب لو آمن، فبتفريطه حصل له الخسران كتفريط التاجر[(٢)]. وعن ابن عباس: «أنها ناسخة لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ البقرة: ٦٢، فإنه قال: لما نزل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ أنزل الله بعدها: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ آل عمران: ٨٥»[(٣)]. وهذا فيه إشارة إلى نسخ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[(٤)].

وعن عكرمة: «لما نزلت قالوا للنبي ﷺ: قد أسلمنا قبْلك ونحن المسلمون، فقال الله له: حُجهم يا محمد، وأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ آل عمران: ٩٧، فحج المسلمون وقعد الكفار»[(٥)]. وقيل: نزلت في الحارث بن سويد[(٦)]، وسيأتي[(٧)]. والإسلام هنا الاستسلام والإخلاص[(٨)]، ولذلك قال الزمخشري: يعني التوحيد وإسلام الوجه لله[(٩)]. والقبول عبارة عما كان الشيء راضياً به أخذه. وحذف متعلق الخسران

---

(١) ينظر: جامع البيان (٥/٥٥٥)، المحرر الوجيز (٢/٢٧٦)، التفسير الكبير (٨/١٣٨).

(٢) التفسير الكبير (٨/١٣٨).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٥/٥٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٢٦).

(٤) نسبه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٧٦) لابن عباس وللطبري وقال: فهذه إشارة إلى نسخ. وينظر: البحر المحيط (٢/٥٤٠).

(٥) رواه الطبري في جامع البيان (٥/٥٥٦) عن عكرمة في ثلاث روايات، وابن المنذر في تفسيره (١/٢٧٧) عن عكرمة، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٢٦) من طريق ابن أبي نجيح به، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٧٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٢) إلى عبد بن حميد.

(٦) هو الحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري، أخو الجلاس، صحابي، ارتد عن الإسلام ثم ثم تاب وأسلم. ينظر: أسد الغابة (١/٦١٣)، الإصابة (١/٥٧٦).

(٧) سيأتي ذكره في سبب نزول الآية التالية بعد ثلاثة صفحات تقريباً. وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٧٦) أن الآية نزلت في الحارث بن سويد وقال: ولم يذكر ذلك الطبري.

(٨) ينظر: تفسير الراغب (٢/٦٩١)، البحر المحيط (٢/٥٤٠).

(٩) ينظر: الكشاف (١/٣٧٣).

للعلم به، أي: أنفسهم، أو نفسه، باعتبار اللفظ أو المعنى، أو الخاسرين الثواب، ونحو ذلك[(١)]. ويجوز أن لا يقدر له متعلق ليعم جميع ما يصلح له، قال الزمخشري: من الذين وقعوا في الخسران مطلقاً من غير تقييدٍ للشياع[(٢)]. وإنما نص على خسرانه في الآخرة لأن فيها يتحقق الخسران وتتبين نتيجته[(٣)]. و﴿ وَمَن ﴾ شرطية[(٤)]، و﴿ يَبْتَغِ ﴾ مجزوم مجزوم بها، و﴿ فَلَن يُقْبَلَ ﴾ جوابه، والفاء في مثله واجبة. والعامة على إظهار الغين[(٥)] من ﴿ يَبْتَغِ ﴾؛ لأن الياء المحذوفة كالموجودة / ولو كانت موجودة تَعَيّنَ الإظهار. وأدغم أبو عمرو في إحدى الروايتين عنه[(٦)]، وقد قرأنا به من غير طريق، وأطرد ذلك في [٥٩/أ] في كل مثلين التقيا بينهما حرف حُذف جزماً، نحو: ﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا ﴾ غافر: ٢٨، ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ يوسف: ٩، فبالنظر إلى اللفظ يدغم، وبالنظر إلى الأصل يظهر. وقد استشكل عليه أنه أدغم نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ ﴾ غافر: ٤١، ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي ﴾ هود: ٣٠، بلا خلاف، وكان مقتضى ما تقدم أن يجري الخلاف نظراً إلى ياء المتكلم، وقد ذكرنا الفرق بين اليائين في كتاب ((العَقْد النَّضيد))[(٧)]. وفي انتصاب ﴿ دِينًا ﴾ ثلاثة أوجه:-

---

(١) ينظر: التفسير الكبير (١٣٨/٨).

(٢) ينظر: الكشاف (٤٠٨/١).

(٣) ينظر: التفسير الكبير (١٣٨/٨).

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٧٠/١).

(٥) ينظر: الإملاء (٢٢٠/١).

(٦) هذا الإدغام هو المسمى بالإدغام الكبير ولأبي عمرو فيه مذهبان: أحدهما: الإظهار كسائر كسائر القراء، والآخر الإدغام، وإنما كان يأخذ به عند الحدر وإدراج القراءة، وأكثر القراء والنحاة على تضعيفه في هذا الموضع؛ لأن كسرة الغين الأولى تدل على الياء المحذوفة. ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٧٠/١)، التذكرة (٧٧/١)، الإقناع ص (١٢٠، ص١٣٥)، الإملاء (١٤٢/١). قال النحاس: "وهذا ليس بالجيد من أجل الكسرة التي في الغين". ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٧٠/١).

(٧) ينظر: العقد النضيد، تحقيق عبد الله البراق، ص (٤٢٢-٤٣٩) باب الإدغام الكبير.

أحدها: انتصابه على التمييز؛ لأن ﴿غَيْرَ﴾ اسم مبهم كمثل، يقال: لي مثله رجلاً، ولي غيره فارساً، قالوا: لنا غيرها إبلاً وشاءً.

والثاني: انتصابه على البدلية من ﴿غَيْرَ﴾، و﴿غَيْرَ﴾ على هذين الوجهين منصوب على المفعول به.

والثالث: انتصابه على المفعول به، و﴿غَيْرَ﴾ على هذا القول حال بتقدمه عليه، لأنها لو تأخرت عنه كانت نعتاً له[(١)]. وفي الوجه الثاني نظر ظاهرٌ من حيث إن البدل يكتفى به عن المبدل منه غالباً، وهنا لا يكتفى به، لو قيل: ومن يبتغ ديناً فلن يقبل منه لم يكن صحيحاً، إذ لا بد من تقييد الدين بكونه غير الإسلام. وفي الجملة من قوله: ﴿وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ وجهان:

أحدهما: للاستئناف، أخبر تعالى أنه في الآخرة من القوم الذين وقعوا في الخسران، فلا محل لها حينئذٍ[(٢)].

والثاني: أنها نسق على الجواب، فيترتب على انتفاء غير دين الإسلام أمران: عدم القبول لذلك الدين، وخُسْران في الآخرة[(٣)]، وهو مبتدأ، و﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ خبره، و«من» للتبعيض، أي: بعض الخاسرين، وهو في المبالغة كقوله: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ التحريم: ١٢، حيث لم يقل: وهو في الآخرة خاسر، وحسَّن ذلك توافق رؤوس الفواصل. و﴿فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ متعلق بمقدر، أي: وهو خاسر / في الآخرة، تفسره: ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. ولا يجوز تعلقه بما بعده عند جمهور البصريين؛ لأن ما في حَيز الموصول لا يتقدم عليه[(٤)]. وقيل: بل متعلق به، وتوسع في الجار وعديله -وهو الظرف- لكثرة دورهما. [٥٩/ب]

والثالث: أنه متعلق به على أن «أل» معرفة لا موصولة.

---

(١) ينظر لهذه الأوجه: مشكل إعراب القرآن (١٦٨/١)، الإملاء (١٤٢/١).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٩٨/١)، جامع البيان (٥٥٥/٥)، تفسير القرآن للسمرقندي (٢٥٣/١).

(٣) ينظر: التفسير الكبير (١٣٨/٨).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٢٧٦/٢).

والرابع: أنه متعلق بإضمار: أعني[(١)].

• قوله: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ آل عمران: ٨٦.

وجه مناسبتها لما تقدمها أنه تعالى لما نعى على من يطلب ديناً غير دين الإسلام، وأخبر بخسرانه في الدار الآخرة؛ عقب ذلك بأن قوماً اعترفوا بصحة ذلك الدين الحق ودخلوا فيه ثم خرجوا منه بعد شهادتهم بحقيته وحقية من جاء به؛ وهو محمد ﷺ، ومجيء البينات؛ وهي الدلائل الواضحة، فكانوا أخسر الخاسرين؛ لما جمعوا من تلك الأفعال القباح[(٢)]. قيل: «إنها نزلت في الحارث بن سويد، وذلك أنه كان يظهر الإسلام، فلما كان يوم أحد قتل المجذر[(٣)] بن ذياد[(٤)] بدم كان له عليه في الجاهلية، وقتل أيضاً زيد بن قيس[(٥)]، وارتد ولحق بالمشركين. فقال رسول الله ﷺ لعمر -رضي الله عنه-: «**اقتله إن ظفرت به**»، فلم يظفر به، ثم ندم الحارث على ذلك، فكتب إلى أخيه يطلب التوبة، فنزلت هذه الآية، فكتب بها قومه إليه، فرجع تائباً»[(٦)].

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١/١٧٠).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (٨/١٣٩).

(٣) المجذر بالذال المعجمة، قيل: لقب معناه الغليظ الضخم، واسمه عبد الله بن زياد بن عمرو، أسلم ثم قُتل يوم أحد. ينظر: طبقات ابن سعد (٣/٥٥٢)، الإصابة (٥/٧٧٠).

(٤) بالذال وهي كذلك في الإصابة لابن حجر (٥/٥٧٢).

(٥) زيد بن قيس، يذكر في ترجمة زيد بن رقيش حليف بني أمية، قيل: استشهد يوم اليمامة، لم أجد له ترجمة غير هذه. ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/١١٨٧)، الإصابة (٢/٦٠٥)، لكن المذكور قَتْلُهُ مع المجذر يوم أحد هو قيس بن زيد الضبعي. ينظر: سيرة ابن هشام (١/٥٢٠)، الإصابة (٥/٤٧٠). وذكر ابن المنذر في تفسيره (١/٢٧٩) قيس بن زيد، وتعقب ابن هشام ذكره فإنه لم يُعد من قتلى أحد. السيرة النبوية (٢/٨٩).

(٦) الحديث رواه أحمد في المسند (٢٢١٨) وصححه إسناده أحمد شاكر، وأخرجه النسائي (٧/١٠٧) في باب توبة المرتد، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٧٠٠) من طريق علي بن مسهر به، والحاكم (٢/١٤٢)، والبيهقي في سننه من طريق عكرمة، عن ابن عباس، وينظر جامع البيان (٥/٥٥٨)، أسباب النزول للواحدي ص (١١٤)، المحرر الوجيز (٢/٢٧٧) التفسير الكبير (٨/١٣٩)، تفسير ابن كثير (٢/٥٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. اهـ ووافقه الذهبي على تصحيحه، العجاب (٢/٧١٠).

[روى مجاهد: «أن رجلاً حمل الآية إليه، فقال: اقرأها، فقرأها عليه، فقال: إنك والله فيما[(١)] علمت لصدوق، وإن رسول الله لأصدق منك، وإن الله لأصدق الثلاثة، فتاب ورجع»[(٢)]][(٣)]. وقال الزمخشري: «نزلت في رَهْطٍ كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، منهم طعمة بن أبيرق[(٤)]، ووحوحُ بن الأسلت[(٥)]، والحارث بن سويد بن الصامت».

وقال غيره: «إنه لحق بالروم[(٦)]. وقيل: ارتد هو وأحد عشر رجلاً»[(٧)]، وقال عكرمة: «اثنا عشر رجلاً ارتدوا، ذكر منهم: الحارث هذا، وأبا عامر الراهب[(٨)] ووحوحاً»[(٩)].

---

(١) في المحرر الوجيز (٢/٢٧٧) (لَمَا عَلِمْتُ).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٤٠٠)، والطبري في جامع البيان (٥/٥٥٨) كلاهما بغير هذا اللفظ. وأخرجه مسدد كما في المطالب العالية (٣٩٢٨) ومن طريقه الواحدي في أسباب النزول ص (١١٤) عن جعفر به وإسناده حسن.

(٣) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف في الحاشية وعرض الصفحة.

(٤) هو طُعمة بن أبيرق بن عمرو الأنصاري ذكر في الصحابة، وتكلِّم في إيمانه. ينظر: شفاء الصدور ص (٢٨٧)، الإصابة (٣/٥١٨).

(٥) هو وحْوَحْ بن الأسلت، واسم الأسلت عامر بن جشم الأوسي الأنصاري، ذكر في الصحابة وأنه شهد الخندق وما بعدها. ولم أقف على من ذكره فيمن ارتد. ينظر: الاستيعاب (٤/١٥٦٦)، الإصابة (٦/٦٠١)، الجمهرة ص (٦٤٥).

(٦) هذه رواية مجاهد التي رواها الطبري في جامع البيان (٥/٥٥٩)، وابن المنذر (١/٢٧٨) وفيه: فجاء الشام. وعزاه إليهما السيوطي في الدر المنثور (٢/٤٩).

(٧) رواه ابن المنذر عن عكرمة (١/٢٨٠).

(٨) هو أبو عامر عبد عمرو بن صيفي الأوسي، كان قد تنصّر في الجاهلية، فلما قدم النبي ﷺ المدينة صار رأساً في النفاق، مات سنة عشر للهجرة بأرض الروم عند هرقل. ينظر: الجرح والتعديل (٣/٢٣٩)، بغية الطلب في تاريخ حلب لابن قتيبة (١٠/٤٤٩٨).

(٩) رواه الطبري في جامع البيان (٥/٥٦٠)، وابن المنذر في تفسيره (١/٢٧٩)، وذكره الرازي الرازي في التفسير الكبير (٨/١٣٩)، ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٧٧) لعكرمة، وأورده في العجاب (٢/٧١١).

[٦٠/أ] وعن الحسن وغيره: «إنها نزلت / في اليهود لأنهم آمنوا بالتوراة وفيها نعت محمد، فلزمهم الإيمان به، فآمنوا به، ثم حسدوه حين ظهر فكفروا به»(١). وقيل: «نزلت في أهل الكتاب؛ اليهود والنصارى، آمنوا بالتوراة والإنجيل وفيهما ذكر محمد والقرآن، فآمنوا بهما ثم كفروا حسداً وبغياً»(٢). وهذا استفهام تعجب واستبعاد، أي: كيف تحصل هداية من تلبس بهذه الأفعال المنافية لما يقتضيها؟! ومثله قوله عليه السلام: «**كيف تفلح أمة أدمتْ وَجْهَ نبيِّها؟!**»(٣). وقال الزمخشري: كيف يلطف بهم وليسوا من أهل

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان من طرق (٥٦٠/٥)، وذكر نحوه الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢٩٨/١)، وابن المنذر في تفسيره (٢٨٠/١) عن الحسن، ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٧٧/٢) لابن عباس والحسن ابن أبي الحسن وقال: "ورجح الطبري هذا القول، ثم قال: وكل ما ذكر فألفاظ الآية تعمه"، وينظر: التفسير الكبير (١٣٩/٨)، وابن كثير في تفسيره (٥٩/٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٩/٢) لعبد بن حميد.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (٥٦٠/٥) عن عطية عن ابن عباس، وابن أبي حاتم (٣٨٣/٢). وذكر الرازي في التفسير الكبير (١٣٩/٨) أن سبب اختلافهم في سبب النزول هل ابتداء القصة من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ آل عمران: ٨٥، أم من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ البقرة: ١٦١، آل عمران: ٩١. قال الطبري: "وأشبه القولين بظاهر التنزيل ما قاله الحسن، من أنَّ هذه الآية معنيٌّ بها أهل الكتاب، على ما قاله غير أن الأخبار بالقول الآخر أكثر، والقائلين به أعلم بتأويل القرآن... إلى أن قال: فيكون معنياً بالآية جميع هذين الصنفين وغيرهما ممن كان بمثل معناهما، بل ذلك كذلك إن شاء الله".

(٣) هذا نص ما ذكره ابن عطية (١٥٢/٣) ورواية مسلم فيها اختلاف، جاء في كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة أحد (١٧٩١) ص (٧٦٨) عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله، فأنزل الله عزوجل: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ سورة آل عمران: ١٢٨.

اللطف، لما علم الله من تصميمهم على كفرهم[(١)]. وهذا على معتقده من أن الله تعالى لا يخلق أفعال العباد بل هم الخالقون لها المستقلون بإيجادها. وزعم بعضهم أن الاستفهام هنا بمعنى النفي[(٢)]، أي: لا يهدي الله قوماً هذه صفتهم.

ومثله في ذلك قول الآخر:-

كيف نومي على الفراش ولمّا تشمل الشامَ غارة شَعْواءُ[(٣)]

وقول الآخر:-

فهذي سيوف يا صُديّ بن مالك كثيرٌ ولكن أين بالسيف ضارب[(٤)]

التقدير: لا أنام، ولا ضارب بالسيف مع كثرة السيوف. والظاهر أن الهداية هنا الهداية إلى الإيمان، بدليل ما بعدها[(٥)]. وقال آخرون: المراد إلى طريق الجنة[(٦)]. وهو بعيدٌ، اللَّهمَّ إلا أن يعني بذلك التجوز، من إقامة المسبَّب مقام السبب، وذلك أن الهداية إلى الإيمان سبب في دخول الجنة والاهتداء إليه فعبر بالسبب عن المسبب، فيقرب ذلك. و ﴿ كَفَرُواْ ﴾ صفة لـ ﴿ قَوْمًا ﴾، و ﴿ كَيْفَ ﴾ منصوب على التشبيه بالظرف أو

---

(١) ينظر: الكشاف (٤٠٨/١).

(٢) ينظر: الكشف والبيان (١٠٨/٣)، زاد المسير (٣٥٤/١)، التفسير الكبير (١٤٠/٨)، الجامع لأحكام القرآن (١٩٦/٥).

(٣) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات، في ديوانه ص (٩٥).

(٤) لم أهتد لقائله، وهو في معاني القرآن للفراء (١٦٤/١)، والبحر المحيط (٥٤١/٢)، ومعناه: ولكن ليس يوجد من يضرب بالسيف.

(٥) ينظر: جامع البيان (٥٦١/٥)، التفسير الكبير (١٤٠/٨).

(٦) ينظر: تفسير القرآن للسمرقندي (٢٥٤/١)، معالم التنـــزيل (٤٦٦/١)، التفسير الكبير (١٤٠/٨). ونسبه الرازي هذا القول للمعتزلة، حيث ذكر أنهم لجأوا إليه لئلا يفسروا الهداية بالهداية للإيمان، لأن أصولهم تشهد بأنه تعالى هدى جميع الخلق إلى الدين؛ بمعنى التعريف ووضع الدلائل وفعل الألطاف، إذ لو يعلم الكل بهذه الأشياء لصار الكافر والضال معذوراً، وهذا مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة.

الحال بما بعده، وقد مرَّ تحقيقه عند قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ البقرة: ٢٨ الآية[(١)].

و﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿كَفَرُواْ﴾، و﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾ عطف على ﴿كَفَرُواْ﴾[(٢)]، وجعل / الشيخ هذا هو الظاهر[(٣)]، وبه قال الحوفيُّ وابنُ عطية[(٤)]، [٦٠/ب] وهذا قد رده مكيّ فقال: ولا يجوز عطف «شهدوا» على ﴿كَفَرُواْ﴾ لفساد المعنى[(٥)]. ولم يبين وجه الفساد، وكأن وجه الفساد أنه يوهم الترتيب بين الجملتين، وإذا وإذا ترتبتا أشكل كيف يكفرون ثم بعد كفرهم يشهدون أن الرسول حق!! وهذا الذي توهمه ليس بشيء؛ لأن الواو لا تقتضي الترتيب، والأصل: قوماً شهدوا أن الرسول حق وكفروا بعد إيمانهم.

وهذا الإشكال قد أحس به ابن عطية وأجاب عنه بما ذكرته؛ فقال: المعنى مفهوم أن الشهادة قبل الكفر، والواو لا ترتب[(٦)].

والوجه الثاني: أن الجملة عطف على ما تضمنه إيمانهم من الفعل وفاعله؛ لأنه مصدر مضاف لفاعله، تقديره: بعد أن آمنوا وشهدوا أن الرسول حق[(٧)].

والثالث: أن الواو للحال، أي: والحال أنهم شاهدون بحقية الرسول، والعامل ﴿كَفَرُواْ﴾[(٨)]. وقد أشار الزمخشري لهذين الوجهين فقال: فإن قلت: علام عُطف عُطف قوله: ﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾؟ قلت: فيه وجهان:-

---

(١) ينظر: الدر المصون (٢٩٧/٣)، الإملاء (٢٢١/١).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (١٤٠/٨)، الإملاء (٢٢١/١).

(٣) البحر المحيط (٥٤١/٢).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٢٧٨/٢).

(٥) تفسير الهداية (١٠٦٨/٢).

(٦) المحرر الوجيز (٢٧٨/٢)، التفسير الكبير (١٤٠/٨).

(٧) ينظر: تفسير الهداية (١٠٦٨/٢)، الكشاف (٣٧٣/١)، التفسير الكبير (١٤٠/٨).

(٨) ينظر: تفسير الراغب (٦٩٩/١)، الكشاف (٤٠٨/١)، التفسير الكبير (١٤٠/٨)، الإملاء الإملاء (١٤٣/١).

أحدهما: أن يعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل، لأن معناه: بعد أن آمنوا[(١)]، كقوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ المنافقون: ١٠، وكقول الشاعر:-

مشائيم ليسوا مُصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غُرَابها[(٢)]

انتهى[(٣)].

تنظيره بالآية والبيت من حيث أن قوة الكلام تقتضي ذلك، وهو الذي يسميه النحويون «العطف على التوهم»[(٤)]؛ لأنه لو قال: لولا أخرتني إلى أجل قريب أصدق؛ دون فاء؛ لجزم، فعطف على ذلك التقدير. وكذا قوله: ولا ناعب؛ بالجر؛ يوهم زيادة الباء في خبر ليس. وعبارة «العطف على التوهم» متداولة بين المعربين، وكرهها بعضهم وهو معذور، وسيأتي بيانه إن شاء الله في مكانه. فنظّر الزمخشري بذلك من هذه الحيثية، وإلا فليس في الآية ولا في البيت عطف فعل على اسم؛ لأن ذلك الاسم في قوة الفعل، ولو نظّر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟﴾ الحديد: ١٨، وبقول الشاعر لكان أولى. ثم قال: ويجوز أن تكون الواو للحال بإضمار

---

(١) تفسير الراغب (٦٩٨/١)، الكشاف (٣٨١/١)، المحرر الوجيز (٢٧٨/٢)، الإملاء (١٤٣/١).

(٢) البيت للأخوص الرياحي، وهو في الكتاب (٨٣/١)، الخصائص (٣٥٤/٢). قيل الشاهد فيه: أنه عطف "ناعب" المجرور على "مصلحين عشيرة" المنصوب باعتبار المحذوف، لكونه خبر ليس على توهم الباء، فإنها تجوز زيادتها في خبر ليس، وهذا ما يسمى عطف على التوهم. ومشائيم: جمع مشؤوم كمنصور وهو من به الشؤم نسبهم إلى الشؤم وقلة الصّلاح والخير. والناعب هو الغراب، يقال لصوته: نعب، ومعناه: لا يصلحون أمر العشيرة إذا فسد ما بينهم ولا يأتمرون بخير، فغرابهم لا ينعب إلا بالتشتيت والفراق. وهذا مثلٌ للتطير والتشاؤم بهم. والعرب تتشاءم بصوت الغراب. ينظر: خزانة الأدب (٥٥٤/٨).

(٣) الكشاف (٤٠٨/١).

(٤) أي: توهُّمُ وجود ما يُسَوِّغُ العطف عليه في الجملة. والعطف على التوهم هو العطف على على المعنى إلا أنه إذا جاء في القرآن عبر عنه بالعطف على المعنى لا التوهم تأدباً مع القرآن. همع الهوامع: (٣٧/٢)، معترك الأقران للسيوطي (٦٢٠/٣).

[٦١/أ] قد، بمعنى: كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق[(١)]. / والرسول هنا محمد ﷺ، وهذا هو قول الجمهور[(٢)].

وقيل: الرسول هنا مصدر بمعنى الرسالة، كقوله: ولا أرسلهم برسول؛ أي: برسالة[(٣)]. وهذا بعيدٌ جداً[(٤)].

والمراد بالبينات معاجز الأنبياء الدالة على صدقهم، أو آيات القرآن؛ لأنها ناطقة بصحة نبوته[(٥)]. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ قيل: عام مخصوص بمن مات على كفره[(٦)].

وقال ابن عطية: يحتمل أن يريد الإخبار عن أن الظالم في ظلمه ليس على هدى من الله، فتجيء الآية عامةً تامة العموم[(٧)]. قال الشيخ: وهذا الذي قاله ينبو عنه لفظ

---

(١) ينظر: الكشاف (٤٠٨/١)، التفسير الكبير (١٤٠/٨).

(٢) ينظر: جامع البيان (٥٦٢/٥)، الكشاف (٣٧٣/١)، الإملاء (١٤٣/١)، البحر المحيط (٥٤١/٢).

(٣) ينظر: تفسير الراغب (٦٩٩/١)، الكشاف (٤٠٨/١)، الإملاء (١٤٣/١).

(٤) هذا التفسير على القول بأن الآية نزلت في اليهود، أما على القول بأنها نزلت في النفر الذين ارتدوا، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ آل عمران: ٨٦، أي: قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول، ووضَحَ لهم الأمر، ثم ارتدوا إلى ظلمة الشرك. ينظر: تفسير ابن كثير (٣٥٩/١).

(٥) ينظر: جامع البيان (٥٦٢/٥)، الكشاف (٤٠٩/١).

(٦) الصواب في معنى الآية: أن الله لا يوفق القوم الظالمين، فالهداية هنا هداية توفيق لا هداية إرشاد، لأن الله قد هدى الناس جميعاً هداية إرشاد. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ طه: ٥٠، وقال: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ الإنسان: ٣. ينظر: جامع البيان (٥٦٢/٥)، المحرر الوجيز (٢٧٨/٢).

(٧) المحرر الوجيز (٢٧٨/٢)، التفسير الكبير (١٤١/٨). قال الرازي: قال تعالى في أول الآية ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا﴾ وهو مختص بالمرتدين، ثم إنه عمم ذلك الحكم في المرتد وفي الكافر الأصلي فقال في آخر الآية: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

الآية. انتهى[(١)]. والظاهر أن هذا من باب إقامة الظاهر مقام المضمر، وأن الأصل: والله لا يهديهم، أي أولئك القوم التي هذه صفتهم. وقال الزمخشري: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المعاندين الذين علم أن اللطف لا ينفعهم، وهذا على طريقته[(٢)].

● قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ آل عمران: ٨٧ -٨٨.

تقدم تفسير مثلها في البقرة، غير أن هنا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ﴾، وهناك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ١٦١، وكأن الفرق بين الاثنين: أن تيك لما كانت في قوم تحقق موتهم على الكفر والموافاة عليه، فلذلك ناسب الإخبار عنهم بتحتم اللعنة، وهنا إنما نزلت في قوم ارتدوا ثم حصلت لهم العناية الربانية فرجعوا إلى الإسلام وحسن إسلامهم، كما دلَّ عليه أسباب النزول المتقدمة[(٣)]. ولكن هنا المبالغة من وجه وجه آخر، وهو تأكيد استقرار اللعنة عليهم بـ «أنَّ» المفتوحة[(٤)]. وتقدم أن الحسن يقرأ: «**والناسُ أجمعون**»[(٥)] بالرفع، عطفاً على محل المضاف إليه.

---

(١) البحر المحيط (٢/٥٤١).

(٢) الكشاف (١/٤٠٩). وقد ذكر الرازي في التفسير الكبير (٨/١٤٠) قول المعتزلة في تفسير الهداية بإسهاب فيمكن الرجوع إليه.

(٣) ينظر: تفسير الراغب (١/٧٠٠)، البحر المحيط (٢/٥٤١).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٨٠).

(٥) قراءة شاذة، قال الكرماني في شواذ القراءات ص (١١٧): وروي عن ورش وعن الحسن (إنْ عليهم) بسكون النون. (لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعون) بالرفع فيهما، ونسبها ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٨٠) إلى الحسن بن أبي الحسن.

• قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ آل عمران: ٨٩.

... أي تابوا من تلك الردة ..../[١] فإن الله تعالى غفور لهم ما اجترحوا من ذلك، رحيم بهم حيث قبل توبتهم و لم يؤاخذهم بما صدر منهم. وهاتان صِفتا مُبالغة في الغُفران والرحمة[٢]. [٦١/ب]

وهذه الآية «نزلت في الحارث بن سويد ورهطه حيث ندم على ردته فأرسل إلى قومه: هل من توبة؟ فأرسل إليه أخوه الجُلاس[٣] بالآية فأقبل إلى المدينة وتاب، وقبل رسول الله ﷺ توبته»[٤].

• قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ آل عمران: ٩٠. اختلف المفسرون في المراد بهؤلاء:-

فقيل: هم اليهود، وذلك أنهم كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة، ثم ازدادوا كفراً إلى كفرهم بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن[٥]. وقيل: كفروا

---

(١) هاهنا ذهب ما مقداره سطران أو ثلاثة لم تتبين لي، وبقيت هذه الجملة ظاهرة.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٩٩/١)، جامع البيان (٥٦٣/٥)، التفسير الكبير (١٤٢/٨).

(٣) هو الجلاس بن سويد بن الصامت بن خالد بن عطية بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري، كان منافقاً فتاب وحسنت توبته. ينظر: أسد الغابة (١٨٤/١)، والإصابة (٤٩٣/١).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٢٩/١٠)، في باب: الردة، من حديث أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس، وقال الأرنؤوط: صحيح الإسناد، والحاكم في المستدرك (٣٦٦/٤)، وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه، والواحدي في أسباب النزول ص (١١٧).

(٥) ينظر: جامع الطبري (٥٦٣/٥)، تفسير ابن المنذر (٢٨٢/١)، تفسير ابن أبي حاتم (٧٠١/٢)، وأسباب النزول للواحدي ص (١١٥) ونسبه للحسن وقتادة وعطاء، ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٨٠/٢) إلى الحسن وقتادة وغيرهما وقال: وفي هذا القول اضطراب، لأن الذين كفروا بعيسى بعد الإيمان بموسى ليس بالذي كفر بمحمد -ﷺ- فالآية على هذا التأويل تخلط الأسلاف بالخاطبين". وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣٠٢/١)، والرازي في التفسير الكبير (١٤٣/٨). وهو مرسل صحيح الإسناد، ويؤيد ما ==

بمحمد بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً بذنوب أصابُوها[(١)]. وقيل: ازديادهم الكفر بالإصرار على ذلك، وطعنهم فيه كل وقت، وعداوتهم له، ونقضهم ميثاقه، وقتلهم للمؤمنين، وصدهم عن الإيمان به، وسخريتهم بكل آية نزلت[(٢)]. وقيل: المراد بهم المرتدون الذين لحقوا بمكة ولم يرجعوا إلى الإسلام من أصحاب الحارث بن سويد، وازديادهم كفراً هو أن قالوا: نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون فنكفى، وإن أردنا الرجعة نافقنا بإظهار الإسلام وإبطان الكفر[(٣)].

وقيل: هي عامة في الفريقين المذكورين، وأنه أريد بها من أقام على كفره حتى مات من اليهود والمرتدة[(٤)]. ﴿بَعۡدَ﴾ متعلق بـ ﴿كَفَرُواْ﴾، و﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ﴾ عطف على ﴿كَفَرُواْ﴾، و﴿كُفۡرًا﴾ مفعول [به، والثاني أنه منصوب على التمييز

==

قاله ابن عطية في القول من اضطراب أن اليهود لم يؤمنوا بعيسى قط حتى يصح وصفهم بالإيمان في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾.

(١) رواه الطبري في جامع البيان (٥/٥٦٥) عن أبي العالية بأكثر من رواية، وابن المنذر في تفسيره (١/٢٨٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٣٨٧)، ونسبه لأبي العالية أيضاً الواحدي في أسباب النزول ص (١١٥)، ونسبه لأبي العالية ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/٣٠٢)، وذكره الرازي في التفسير الكبير (٨/١٤٢)، وهو مرسل صحيح الإسناد أيضاً.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (٥/٥٦٦)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/٣٠٢).

(٣) ذكر نحوه الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/٢٩٩)، وأورده السمرقندي في تفسير القرآن للسمرقندي (١/٢٥٤) وزاد نسبته لمقاتل أيضاً، وهو في تفسير مقاتل (١/١٨١) بلفظ مقارب، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٨٠)، ونسبه ابن الجوزي لابن عباس وقتادة في زاد المسير (١/٣٠٢)، وذكره الرازي في التفسير الكبير (٨/١٤٣).

(٤) قال الطبري: "وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل الآية قول من قال: عنى بها اليهود" ثم قال: "وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في هذه الآية بالصواب، لأن الآيات قبلها وبعدها فيهم نزلت، فأولى أن تكون هي في معنى ما قبلها وما بعدها إذ كانت في سياق واحد". جامع البيان (٥/٥٦٧)، وينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٨٠).

لـ ﴿ ٱزۡدَادُواْ ﴾، و لم يذكر الشيخ غيره، وجعله من التمييز المنقول من الفاعلية، أي: ثم ازداد كفرهم، وفيه نظر[1]][2] .

وأصل ﴿ ٱزۡدَادُواْ ﴾: ازتادوا؛ افتعلوا؛ من الزيادة. و﴿ لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ ﴾ خبر إن[3] ، ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ عن طريق الهدى. قال الزمخشري: فإن قلت: قد علم أن المرتد كيفما ازداد كفراً فإنه مقبول التوبة إذا تاب، فما معنى لن تقبل توبتهم؟ قلتُ: جعلت عبارة عن الموت على الكفر، لأن الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر، كأنه قيل: إن اليهود والمرتدين الذين / فعلوا ما [٦٢/أ] فعلوا مائتون على الكفر، داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم[4] . [وشرح هذا: أن قوله: ﴿ لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ ﴾ يحتمل أن يكون: لا توبة لهم فتقبل[5] ، أي: لا توبة فلا قبول، فهو من باب:-

(١) يشير إلى كلام أبي حيان: "ويفسر بهذه الأقوال معنى ازدياد الكفر، وهو بحسب متعلقاته، إذ الإيمان والكفر في التحقيق لا يزدادان ولا ينقصان، وإنما تحصل الزيادة والنقصان للمتعلقات، فينسب ذلك إليهما على سبيل المجاز"، وهذا القول مخالف لقول أهل السنة والجماعة القائلين بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. ينظر: السنة للخلال (٥٨٢/٣)، السنة لابن أبي عاصم (٦٤٥/٢)، الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ص (٢٧).

(٢) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف في الحاشية.

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٧٠/١).

(٤) ذكر هذا القول الرازي في التفسير الكبير (١٤٣/٨) ونسبه للحسن وقتادة وعطاء، واستدل له بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾ النساء: ١٨، ورجحه السمين في تفسير الآية التالية.

(٥) ينظر: تفسير الراغب (٧٠٧/١)، الكشاف (٤٠٩/١)، المحرر الوجيز (١٥٥/٣)، البحر المحيط (٥٤٢/٢).

عَلَىْ لاَحِبٍ لا يُهْــتَدَى بِمَنَارِهِ[(١)] .....

أي: لا منار ولا هداية، كذلك هذه الآية، لا توبة لهم ولا قبول، ويكون ذلك في قوم بأعيانهم، فجزم الزمخشري بهذا الاحتمال[(٢)]. والاحتمال الثاني: أن لهم توبة ولكنها غير مقبولة[(٣)]. وعلى هذا فيعود الإشكال الذي ذكره الزمخشري في سؤاله، وهو أن الإنسان وإن تكرر كفره ولو ألف مرة ثم تاب تاب الله عليه. لا جرم اضطراب الناس عن جوابها:-

فقال ابنُ عباس: «لن تقبل توبتهم لأنها توبة غير خالصة، إذ هم مرتدون وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم وفي ضمائرهم الكفر»[(٤)]، انتهى.

---

(١) صدر بيت لامرئ القيس وعجزه:

..... إذا سافــه العَوْد النباطي جرجرا

ينظر: ديوانه ص (٩٦)، تهذيب اللغة (٧٠/٥)، أساس البلاغة ص (٢٢٥).

واللاحب: الطريق الواسع المنقاد الذي لا ينقطع. ولا يهتدى بمناره: ليس فيه عَلَم فيهتدى به. ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة (٤٨١/١)، لسان العرب (٧٣٧/١) مادة: (لحب).

(٢) ينظر: الكشاف (٤٠٩/١).

(٣) ينظر: تفسير الراغب (٧٠٧/١)، البحر المحيط (٥٤٢/٢).

(٤) ينظر: زاد المسير (٣٠٢/١) ونسبه لابن عباس، لباب التأويل (٣٧٨/١).

وهذا من ابن عباس -رضي الله عنه- تخصيص للتوبة بنوع من أنواعها. وقال الحسن[(١)] وقتادة[(٢)] ومجاهد[(٣)] والسدي[(٤)]: «نفي التوبة مختص بالحشرجة والغرغرة ومعاينة الأحوال الأخروية»[(٥)].

واستحسنه النحاسُ ونظّره بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ النساء: ١٨[(٦)]، وحاصله يرجع إلى التخصيص في الزمان، كأنه قيل: لن تقبل توبتهم في ذلك الزمان. ومثله قوله عليه السلام: «**إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر**»[(٧)]، وهذا كإيمان فرعون وإيمان

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/٥٦٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٧٠٢)، ونسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/٣٠٢)، وذكره الرازي في التفسير الكبير (٨/١٤٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/٥٦٤)، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٨٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/٦٤)، ونسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/٣٠٢)، وذكره أيضاً الرازي في التفسير الكبير (٨/١٤٣).

(٣) نسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٨٠)، وينظر: زاد المسير (١/٣٥٥).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/٥٦٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٧٠١)، ونسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/٣٠٢).

(٥) ينظر: جامع البيان (٥/٥٦٤)، الوسيط (١/٤٦١)، معالم التنزيل (٢/٦٥)، إعراب القرآن للنحاس (١/١٧٠)، المحرر الوجيز (٣/١٥٥)، التفسير الكبير (٨/١٤٣) وزاد نسبته لعطاء. وقد ردَّ الطبري هذا القول مبيناً أنه لا خلاف في أنَّ كافراً لو أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين، أن حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه والموارثة وسائر الأحكام، مما يدل على صحة إسلامه.

(٦) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١/١٧٠).

(٧) أخرجه الترمذي في الدعوات ص (٩٧٩) رقم (٣٥٤٦) وقال عنه حسن غريب، وابن ماجة في الزهد باب: ذكر التوبة ص (٧٤٢) رقم: (٤٢٥٣)، وفي إسناده مدلس، وأحمد في مسنده ص (٤٤٥) رقم: (٦١٦٠)، وابن حبان (رقم:٦٢٨). قال الترمذي: حسن
==

من حكى عنهم في قوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ ﴾ غافر: ٨٤ الآية. وعن مجاهد أيضاً: «لن تقبل توبتهم إذا تابوا بعد الموت»(١). وقال غيره: المراد توبتهم التي تابوها قبل الكفر؛ لأن الكفر أحبطها(٢). وقيل: لن تقبل توبتهم من كفر انتقلوا منه إلى كفر آخر، بل إذا انتقلوا من الكفر إلى الإسلام قبلت توبتهم(٣). وهذا تخصيص للتوبة.

وعن أبي العالية: «لن تقبل توبتهم من الذنوب التي أصابوها مع إصرارهم على الكفر بمحمد ﷺ»(٤). وتحصّل أن التخصيص إما في التوبة، أو في الذنوب المتوب عنها، أو في التائب، أو في الزمان(٥). والذي يظهر أن هؤلاء قوم معينون علم الله منهم أنهم إذا تابوا لم يخلصوا في توبتهم، وهو تعالى لا يقبل إلا العمل الخالص، فأخبر تعالى بعلمه فيهم الذي لا يتبدل ولا يتغير أنه لا يقبل لهم توبة أبداً؛ لأنها غير مُعتد

==

غريب، وحسنه ابن حجر والألباني وأحمد شاكر. وينظر: ميزان الاعتدال (١٤٧/٥) ترجمة رقم: (٩١٨٣).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣١٢/٢)، ونسبه لمجاهد ابن الجوزي في زاد المسير (٣٠٢/١).

(١) رواه الطبري في جامع البيان (٥٦٨/٥)، وتعقبه بقوله: "أنكرنا ذلك، لأن التوبة من العبد غير الكائنة إلا في حال حياته، فأما بعد مماته فلا توبة" وهذا لفظ وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣٥٥/١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥٤٢/٢).

(٢) هذا مروي عن عكرمة وابن جريج. ينظر: جامع البيان (٥٦٦/٥)، إعراب القرآن للنحاس (١٧٠/١)، الجامع لأحكام القرآن (١٩٧/٥). قال الطبري: "وأما قول من زعم أن معنى ذلك: التوبة التي كانت قبل الكفر فقول لا معنى له، لأن الله عز وجل لم يصف القوم بإيمانٍ كان منهم بعد كفر، ثم كفرٍ بعد إيمان، بل إنما وصفهم بكفر بعد إيمان، فلم يتقدم ذلك الإيمان كفر؛ كان للإيمان لهم توبة منه".

(٣) ينظر: معاني القرآن للنحاس (١٥٠/١)، الجامع لأحكام القرآن (١٩٨/٥).

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (٥٦٥/٥) بلفظ مقارب، وابن أبي حاتم في تفسيره من طريق داود به بمعناه (٧٠٢/٢) رقم (٣٨٠٣)، وينظر: المحرر الوجيز (٢٨٠/٢).

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٧٠/١)، البحر المحيط (٥٤٢/٢).

بها، إذ هي توبة في الصورة الظاهرة غير مطابقة للحق[(١)]. ثم قال الزمخشري:][(٢)] فإن قلتَ: لم قيل: ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ بغير فاء، وفي الأخرى: ﴿فَلَن يُقْبَلَ﴾ آل عمران: ٩١، ؟ قلتُ: قد أوذن بالفاء أن الكلام بني على الشرط والجزاء، وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر، وبترك الفاء أن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب، كما تقول: الذي جاءني له درهم، لم تجعل المجيء سبباً في استحقاق الدرهم، بخلاف قوله: فله درهم[(٣)]. فإن قلتَ: فحين كان معنى قوله: ﴿لَّن تُقْبَلَ / تَوْبَتُهُمْ﴾ بمعنى الموت على الكفر، فهلا جعل الموت على الكفر مسبباً [٦٢/ب] عن ارتدادهم وازديادهم [الكفر][(٤)] لما في ذلك من قساوة قلوبهم وركوب الدين وجرّه إلى الموت على الكفر؟ قلتُ: لا، كم من مرتد مزداد للكفر يرجع إلى الإسلام ولا يموت على الكفر. فإن قلتَ: فأي فائدة في هذه الكناية؟ أعني أن كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة؟ قلت: الفائدة فيه جليلة، وهي التغليظ في شأن أولئك [الفريق][(٥)] من الكفار، وإبراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي من أغلظ الأحوال وأشدها، ألا ترى أن الموت على الكفر إنما يخاف من أجل اليأس [من][(٦)] الرحمة[(٧)]؟!

---

(١) ينظر: الكشاف (٤٠٩/١)، المحرر الوجيز (٢٨٠/٢).

(٢) كل ما سبق بين المعقوفتين؛ من قوله: «وشرح هذا» إلى هنا؛ استدركه المؤلف في الحاشية وعرض الصفحة.

(٣) ينظر: التفسير الكبير (١٤٥/٨).

(٤) مطموسة في مخطوط المؤلف، واستدركتها من «الكشاف» (٣٨٢/١).

(٥) هذه الكلمة استدركها المؤلف في الحاشية.

(٦) سقطت من المخطوط، واستدركتها من «الكشاف» (٣٨٢/١).

(٧) الكشاف (٤٠٩/١).

وقرأ العامة: ﴿لَّن تُقْبَلَ﴾ بتاء التأنيث على البناء للمفعول، والأعمش ﴿نَقْبَلَ﴾ بنون العظمة ﴿توبتَهم﴾ بالنصب[(١)]. والجملة من قوله: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ **فيها ثلاثة أوجه:-**

أحدها: أنها في محل رفع نسقاً على خبر إنّ، وهو ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾، أي: إن الذين كفروا أولئك هم الضالون[(٢)].

[**الثاني**: أن تُجْعَلَ معطوفة على الجملة المؤكدة بإن، وحينئذٍ فلا محلَّ لها من الإعرابِ لعطفِها على ما لا محلَّ له][(٣)].

الثالث: أنها في موضع نصب على الحال، فالواو واو الحال، قال: والمعنى: لن تقبل توبتهم من الذنوب في حال أنهم ضالون، فالتوبة والضلال متنافيان لا يجتمعان، انتهى[(٤)].

وهذا المعنى -فيما قال الشيخ- ينبو عنه هذا التركيبُ؛ إذ لو أريد ذلك لقيل: وهم الضالون، ولم يؤت باسم الإشارة[(٥)]. و«هم» يجوز أن تكون فصلاً، وأن تكون تكون مبتدأ، وأن تكون بدلاً[(٦)]، والأول أبلغ عند أهل البيان.

و﴿ٱلضَّآلُّونَ﴾ الذاهبون عن طريق الحق والصواب. أو الهالكون؛ من قولهم: ضل اللبن في الماء إذا استهلِك[(٧)]. وحذف متعلق الضلال للعلم، وحسنه تواخي الفواصل.

---

(١) قراءة شاذة: قرأ بها الأعمش، ينظر: الكشاف (٤٠٩/١)، ونسبها ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٨٠/٢) لعكرمة، البحر المحيط (٥٤٢/٢)، الشواذ ص (٢١).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٥٤٣/٢).

(٣) سقط ما بين المعقوفتين واستدركته من البحر المحيط (٥٤٣/٢)، والدر المصون (١٣٦٤/١)، وبه يستقيم كلام المؤلف.

(٤) الكشاف (٤٠٩/١). وينظر: تفسير الراغب (٧٠٨/١)، البحر المحيط (٥٤٣/٢)، الدر المصون (١٣٦٤/١).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٥٤٣/٢).

(٦) ينظر السابق.

(٧) ينظر: جامع البيان (٥٦٩/٥)، الكشف والبيان (١٢٣/١)، معالم التنـــزيل (٧٦/١).

● قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ آل عمران: ٩١.

هذه الآية الكريمة تبين أن المراد بالأولى -فيمن لم تقبل توبته- من مات على الكفر؛ لأنه قيّد في هذه بالموافاة عليه. ولم يذكر للكفر في هذه الآيات متعلقاً للعلم به. وقوله: ﴿ وَمَاتُواْ ﴾ عطف على ﴿ كَفَرُواْ ﴾ ويجوز أن تكون حالاً بإضمار «قد» عند من يشترط ذلك. وقوله: ﴿ وَهُمۡ كُفَّارٞ ﴾ حال من واو ﴿ وَمَاتُواْ ﴾، فعلى الثاني يكون حالان مُتداخلين، و﴿ فَلَن / يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم ﴾ شاهد على دخول الفاء في [أ/٦٣] الخبر المنسوخ بإنَّ؛ خلافاً للأخفش[(١)]. وفي الآية إقناط عظيم للكفرة حيث أخبر أنه لو أعطى أحدهم ملء الأرض ذهباً لم يقبل ذلك منه، وأنه لو افتدى به من العذاب ما أغنى عنه ذلك. وهذا تعليق على المحال عادة، لأنه في الممكن أن يكون ملء الأرض ذهباً موجوداً ومملوكاً للإنسان، غير أنه مستحيل عادةً، ففي ذلك أبلغ زجر عن الكفر[(٢)]. وقال: ﴿ مِنۡ أَحَدِهِم ﴾ ولم يقل: «منهم»؛ لنكتة: وهي أنه لو قيل: «منهم»؛ لاحتمل أن يكون ذلك بقيد الجمع، فنفى هذا الاحتمال بالنص على عدم القبول من كل فرد فرد. والعامة: ﴿ فَلَن يُقۡبَلَ ﴾ على البناء للمفعول ورفع ﴿ مِّلۡءُ ﴾ على ما لم يُسَمَّ فاعله، وحذف الفاعل للعلم به[(٣)]، وهو الباري تعالى، أو لأن الغرض الإخبار بعدم القبول.

وقرأ عكرمة: «فلن نقبل» بنون العظمة[(٤)]. وقرئ: «يَقْبَل» بياء الغيبة والبناء للفاعل، وهو الله تعالى[(٥)]. و«ملء» على هاتين القراءتين منصوب على المفعول به. ورُوي عن نافع: «مِلَ الارْض» بنقل حركة الهمزة إلى اللام الساكنة وحذف الهمزة،

---

(١) معاني القرآن للأخفش (١/٢٢٦).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (٨/١٤٥).

(٣) قراءة متواترة: ينظر: النشر (١/٣٢١)، اتحاف فضلاء البشر ص (٢٢٧).

(٤) قراءة شاذة: نسبها ابن عطية لعكرمة في المحرر الوجيز (٢/٢٨١). وينظر: شواذ القراءات ص (١١٧).

(٥) قراءة شاذة. ينظر: مختصر في شواذ القران لابن خالويه ص (٢١)، و إعراب القراءات الشواذ (١/٣٣٥)، والبحر المحيط (٢/٥٤٤).

وهو قياس مطرد[(١)]، وفعله نافع أيضاً في ﴿رِدْءًا﴾ القصص: ٣٤، كما سيأتي، وقد روى عنه ورش بنقل حركة الهمزة باطراد في مواضع بيّناها في غير هذا[(٢)]. وقراءة العامة: ﴿ذَهَبًا﴾ بالنصب، وهو تمييز لـ «ملء»؛ لأنه منهم[(٣)]، كقولهم: لي ملؤه عسلاً، والناصب له نفس «ملء»، هذا هو المشهور، وقال الكسائي: منصوب على إسقاط الجار، والأصل: من ذهب، كقوله: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ المائدة: ٩٥، أي: من صيام[(٤)]، والفراء يسمي ذلك تفسيراً؛ لأن المقدار مَعْلُومٌ والمقدر به مجمل[(٥)]. وقرأ وقرأ الأعمش: «ذهبٌ» بالرفع[(٦)]، وخرجه الزمخشري فقال: رَدّاً على «ملء»، كما يقال: عندي عشرون نفساً رجالٌ. انتهى[(٧)].

يعني بالرد البدل، ويكون من بدل النكرة من المعرفة؛ لأن «ملء الأرض» معرفة، ومن ثَمَّ ضبط الحذاق قوله عليه...[(٨)]./ قلتُ: الذي عناه الزجاج أن الذي [٦٣/ب]

---

(١) وجه صحيح لورش، ونسبها ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٨١) لأبي جعفر بن القعقاع وأبي السمال وقال: ورويت عن نافع، وينظر: العقد النضيد للسمين ص (٩٥٢) تحقيق د. أيمن سويد، النشر (١/٣٢١)، إتحاف فضلاء البشر ص (٢٢٧).

(٢) ينظر المصادر السابقة.

(٣) إعراب القرآن للنحاس (١/١٧٠)، المحرر الوجيز (٢/٢٨١)، زاد المسير (١/٣٠٣).

(٤) نقله عن الكسائي في الجامع لأحكام القرآن (٥/١٩٩).

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء (١/٢٢٥)، جامع البيان (٥/٥٧١)، البحر المحيط (٢/٥٤٣).

(٦) قراءة شاذة، ينظر: شواذ القراءات ص (١١٧)، التفسير الكبير (٨/١٤٤).

(٧) الكشاف (١/٤١٠). ونسبه له في التفسير الكبير (٨/١٤٤).

(٨) ها هنا انقطاع في الكلام فقد يكون أسقطه عمداً لأنه ذكره في الدر المصون وقد يكون سقطاً لا يعلم مقداره، وكأن في السقط نقل عن الزجاج، وتكملة الجملة هنا تتبين من البحر المحيط (٣/٢٥٥) والدر المصون (١/١٣٦٥)، حيث قال في الدر: قال الشيخ: "ولذلك ضَبَط الحُذَّاق قوله "لك الحمدُ ملءُ السموات" بالرفع، على أنه نعتٌ للحمد، واستضعفوا نصبه على الحال لكونه معرفة".

أنفقوه في الدنيا [وإن كان ملء الأرض ذهباً][(١)] لو افتدوا به يوم القيامة لم يقبل منهم. فهو لا ينكر أن الافتداء يكون يوم القيامة[(٢)]. وقد اعترض الشيخ على الوجه الثاني من أوجه الزمخشري فقال: "ولا حاجة إلى تقدير «مثل» في قوله: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦ﴾"[(٣)]، وكأن الزمخشري تخيَّل أَنَّ ما نَفْيٌ أن يقبل لا يمكن أن يفتدى به، فاحتاج إلى إضمار «مثل» حتى يغاير بين ما نفي قبوله وبين ما يُفتدى به، وليس كذلك؛ لأن ذلك كما ذكرناه على سبيل الفرض والتقدير، إذ لا يمكن عادة أن أحداً يملك ملء الأرض ذهباً بحيث لو بذله -على أي جهة بذله- لم يُقبل منه، بل لو كان ذلك ممكناً لم يحتج إلى تقدير «مثل»؛ لأنه نفى قبوله حتى في حالة الافتداء، وليس ما قدر في الآية نظير ما مثَّل به؛ لأن هذا التقدير لا يحتاج إليه، ولا معنى له، ولا في اللفظ ولا في المعنى ما يدل عليه، فلا يقدر[(٤)]. وأما فيما مثَّل به من ضربتُ ضَرْبَ زيدٍ، وأبو يوسف أبو حنيفة؛ فبضرورة العقل نعلم أنه لا بد من تقدير «مثل»، إذ ضربك يستحيل أن يكون ضرب زيد، وذات أبي يوسف يستحيل أن تكون ذات أبي حنيفة، وأما:-

لا هيثم الليلــــة للمطيِّ[(٥)] .....

---

(١) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف في الحاشية فوق السطر بالمقلوب.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٩٩/١)، وكلام الزجاج هذا نقله ابن عطية في المحرر الوجيز الوجيز (٢٨٢/٢) واستحسنه، والرازي في التفسير الكبير (١٤٥/٨)، وأذكره لأنه سقط ولأن السمين علق عليه فقد قال الزجاج: المعنى: لن يقبل من أحدهم إنفاقه وتقرباته في الدنيا، ولو أنفق ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أيضاً في الآخرة لم يقبل منه.

(٣) البحر المحيط (٥٤٢/٢)، المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري (١٤٦/١).

(٤) الكشاف (٤١٠/١).

(٥) البيت منسوب إلى بعض بني دبير، وبعده: ولا فتى مثل ابن خيبري، وهو في الكتاب (٣٥٤/١)، والمقتضب (٣٦٢/٤)، وأمالي الشجري (٣٢٩/١). ومعناه: لا سائق كسوق هيثم للمطي. والمراد: لا مثل هيثم.

فدل على حذف «مثل» ما تقرر في اللغة العربية أن لا التي لنفي الجنس لا تدخل على الأعلام فتؤثر فيها، فاحتاج إلى إضمار «مثل» لتبقى على ما تقرر فيها، إذ تقرر أنها لا تعمل إلا في الجنس؛ لأن العلمية تنافي عموم الجنس.

وأما قوله: كما أنه يزاد في: مثلك لا يفعل، تريد: أنت؛ فهذا قول قد قيل، ولكن المختار عند حُذَّاق النحويين أن الأسماء لا تزاد، ولتقرير أن «مثلك لا يفعل كذا» ليست فيه «مثل» زائدةً مكانٌ غير هذا[(١)]، انتهى.

الذي حمل الزمخشري على إضمار «مثل» هنا توافق بقية الآي الكريمة التي ذكرها، فإنه قد صرح فيها بلفظ: «مثل»، وهذه مثلها وموافقة الآي الكريمة بعضها لبعض أولى؛ لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً. وأما كون مثل / يُراد فالصحيح خلافه، غير أن الزمخشري أراد بذلك أن «مثلك» يُطلق ويُراد به نفس المخاطَب، وعليه -في أحد الوجهين- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الشورى: ١١، وقول الآخر: [٦٤/أ]

على مثل ليلى يقتل المـــرء نفسه وإن بات من ليلى على اليأس طاويا[(٢)]

وسيأتي لهذا مزيد بيان عند قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم﴾ البقرة: ١٣٧.

[و﴿ٱفْتَدَىٰ﴾ افتعل من الفدية، وهي بدل الشيء في مقابلة آخر للتخلص، ومنه فداء الأسير. قيل: وافتدى بمعنى فدى، نحو اشتوى وشوى، فعلى هذا يتعدى افتدى، غير أنه يحتاج في ذلك إلى سماع[(٣)].

والهاء في ﴿بِهِۦ﴾ تعود على ﴿مِّلْءُ﴾، وقيل: على ﴿ذَهَبًا﴾[(٤)]؛ ولا معنى له؛ لأن الغرض أنه لو افتدى بذلك الملء من الذهب، ولو قيل: «ولو افتدى بذهب» لم

---

(١) البحر المحيط (٥٤٢/٢).

(٢) البيت لمجنون ليلى. ينظر: ديوانه: ص (٢٩٦).

(٣) ينظر: المنقوص والممدود للفراء ص (٢٥-٢٦)، تهذيب اللغة (٢٠٠/١٤) وفيه: "ويقولون: فديته بأبي وأمي، وفديته بمالي، كأنه اشتريته به، وخلصته به..." وينظر أيضاً: النهاية (٤٢١/٣).

(٤) الإملاء (٢٢١/١).

يعلم مقداره، لصدقه على القليل والكثير [(١) (٢)]. ثم أخبر أن لهؤلاء المذكورين عذاباً مؤلماً متزايداً في الألم والشدة، ولذلك أتى بمثال المبالغة وهو فعيل دون مُفْعِل (٣).

و﴿ عَذَابٌ ﴾ يجوز أن يرفع من وجهين:-

أحدهما: الابتدائية، والجار قبله الخبر، والجملة خبر أولئك.

والثاني: الفاعلية بالجار قبله، لأن الجار قد اعتمد بكونه خبراً للمبتدأ (٤). ثم أخبر أن لا ناصر لهم ولا معين. وقد أخبر تعالى بثلاث جمل:

إحدها: أنه لا يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً [إذا بذله ولو افتدى به لم يقبله منه] (٥)، وفي ضمن ذلك أعز الأشياء بفرض المحال عادةً.

والثانية: أن لهم عذاباً متزايداً في الشدة والألم مع عدم الفدية بهذا المال العظيم، إذ لا يلزم من عدم قبول الافتداء بالمال وقوع العقوبة، فأخبر أنه لا بد لهم مع عدم القبول من إنزال العقوبة الشديدة بهم.

والثالثة: أنهم مع كونهم معذبين بذلك العذاب الأليم لا ناصر لهم يمنعهم منه ولا يخلصهم من شدته؛ لأنه قد يكون لبعض من يقع في الشدائد من ينصره ويخلصه منها ويعينه على خلاصه، فأخبر تعالى عن هؤلاء بانتفاء الناصر لهم على سبيل التأكيد بزيادة «من» في النكرة، والنكرة في سياق النفي (٦).

و﴿ مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ يجوز ارتفاعه من وجهي ارتفاع عذاب؛ لأن الجار قد اعتمد على النفي كما اعتمد ذاك على المبتدأ، و«من» مزيدة على كلا التقديرين / لوجود الشرطين (٧). [٦٤/ب]

---

(١) البحر المحيط (٥٤٣/٢).

(٢) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف في الحاشية في عرضها وطولها.

(٣) ينظر: جامع البيان (٥٧١/٥)، التفسير الكبير (١٤٦/٨).

(٤) البحر المحيط (٥٤٣/٤).

(٥) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف في الحاشية.

(٦) ينظر: التفسير الكبير (١٤٦/٨).

(٧) ينظر: مدارك التنـــزيل للنسفي (١٦٦/١).

● قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ آل عمران: ٩٢. وجه مناسبتها لما تقدمها أنه تعالى لما أخبر أن الكافر لو افتدى نفسه بملء الأرض ذهباً يوم القيامة لم يقبل منه، أو أنفق ذلك في الدنيا لينفعه في الآخرة ما تقبله الله منه لموافاته على الكفر؛ حثَّ المؤمنين على التصدق بأطيب المال وأحبه إلى مالكه ليجدُوا بذلك خلاص أنفسهم يوم القيامة، حين لا ينفع الكافر شيء من ذلك وإن كان ملء الأرض ذهباً[(١)]. ولما نزلت هذه الآية الكريمة اهتز لها أفاضل المؤمنين وبادروا إلى العمل بها رَغْبةً وطواعيةً: جاء أبو طلحة[(٢)] حين سمعها إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أحبَّ أموالي إليَّ بيرحاء[(٣)]، فَضَعْها يا رسولَ اللهِ حيثُ أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: «**بخٍ بخٍ، ذاك مال رابح**» أو «**مال رايح**»؛ بالباء الموحدة أو المثناة من تحت؛ «**وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**»، فقال: أفعل يا رسول الله، فقسمها في أقاربه[(٤)].

وجاء زيد بن حارثة[(٥)] بفرس له وكان يحبها، فقال: «هذه في سبيل الله»، فحمل عليها رسول الله ﷺ أسامة بن زيد[(٦)]، وكأن زيداً وجد في نفسه وقال: إنما

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٨٢)، التفسير الكبير (٨/١٤٦).

(٢) هو: زيد بن سهل الأنصاري، صاحب رسول الله، شهد العقبة، وبدرا، المشاهد كلها. ينظر: ترجمته في الاستيعاب (٤/١١٣)، الإصابة (١/٥٦٦).

(٣) بئر حاء -بالحا المهملة- ويقال: بئر حا، بغير همز، وبير حاء: بالمد، وبيرحا بفتح الباء والراء والراء والقصر، كل ذلك قد روي في اسم هذا الموضع، وهي أرض كانت لأبي طلحة بالمدينة قرب المسجد ويعرف بقصر بني جديلة، ينظر: معجم البلدان (١/٣٥٥)، والنهاية (برح). وتقع الآن شمال لحرم النبوي.

(٤) أخرجه البخاري في مواضع منها: كتاب: الزكاة باب: الزكاة على الأقارب (١٤٦١)، وكتاب: الوكالة باب: إذا قال الرجل لوكيله: ضعه حيث أراك الله (٢٣١٨). ومسلم كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة والنفقة على الأقربين رقم: (٩٩٨). و"بخٍ بخٍ": كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء وتكرر للمبالغة. ينظر: النهاية (بخ).

(٥) هو: زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب، صحابي جليل، وتوفي سنة (٨)هـ ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٢٩)، كتاب الثقات لابن حبان (٣/١٣٤).

(٦) هو: أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، الحِب بن الحِب، أمرَّه -ﷺ- على جيش عظيم، توفي توفي -ﷺ- وعمره عشرون سنة تقريباً. ينظر: الإصابة (١/٢٠٢).

أردتُ أن أتصدق به، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله قد قبل صدقتك**»[(١)]. وكتب عمر -رضي الله عنه- إلى أبي موسى[(٢)] أن يبتاع له جاريةً من سبي جَلُولاء[(٣)] يوم فتحت مدائن كسرى، فلما جاءته أعجبته فقال: «إن الله تعالى قال: ﴿**لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ فأعتقها»[(٤)].

ونزل بأبي ذر[(٥)] ضيف فقال للراعي: «ائتني بخير إبلي» فجاء بناقة هزيلة، فقال فقال له أبو ذر: «خنتني»، قال: وَجَدْتُ خير الإبل فحلها، فذكرت / يوم حاجتكم [٦٥/أ]

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسير القرآن (٤٠١/١) عن معمر عن أيوب، والطبري في جامع البيان (٥٧٦/٥) عن عبد الرزاق به، وابن أبي حاتم ف تفسير القرآن العظيم (٧٠٤/٣) رقم (٣٨١٤) من طريق آخر عن محمد بن المنكدر، وذكره الرازي في التفسير الكبير (١٤٧/٨). قال ابن حجر في الكاف الشاف ص (٢٧): عبد الرزاق في تفسيره والطبري من طريقه ... وهو معضل، وأخرجه الطبري من رواية ابن عمر بن دينار نحوه مرسلاً ورجاله ثقات.

(٢) هو عبد الله بن قيس بن سليم، الأشعري، صحابي جليل (ت٥٠)هـ. ينظر: طبقات ابن سعد (١٠٥/٤)، الاستيعاب (٩٧٩/٣).

(٣) جلولاء: بالمد-قرية في طريق خراسان، وهو نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا، ويشق بين منازلها، وعليه في وسطها قنطرة، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، وبها كانت الواقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة (١٦)هـ فاستباحهم المسلمون فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون حتى جللوا وجه الأرض بالقتلى، ينظر: معجم البلدان (١٨١/٢)، البداية والنهاية (٢٠/١٠).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٧٥/٥) عن مجاهد، وذكره الرازي في معاني القرآن وإعرابه (٣٠١/١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٨٣/٢)، والرازي في التفسير الكبير (١٤٧/٨)، وابن حجر في الكاف الشافي ص (٢٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٦٢/٢) إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وينظر: تفسير مجاهد ص (٢٥٥). تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ص (٨١٩).

(٥) هو: أبو ذر الغفاري، الصحابي الجليل، اسمه جندب بن جنادة على الأصح، وقيل (بريد) -بموحدة- مصغراً ومكبراً، تقدم إسلامه وتأخرت هجرته، فلم يشهد بدرًا، ومناقبه كثيرة جدًا، مات سنة (٣٢)هـ، في خلافة عثمان. أسد الغابة (١٨٦/٥)، الإصابة (٦٣/٤).

إليه، فقال أبو ذر: «إن يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي»[(١)]. نقل ذلك الزمخشري[(٢)]. قلتُ: وقد أعتق ابن عمر -رضي الله عنهما- جارية كانت أعجب شيء إليه، ومن يشابه أَبَهُ فما ظلم[(٣)]. وكان -رضي الله عنه- يتصدق باللوز والسكر لأنه يحبهما[(٤)]. وكان الربيع بن خيثم[(٥)] يحب السكر فكان يتصدق به[(٦)]. وعن أبي ذر أيضاً أنه تصدق على مقرورٍ ببُرْنُسٍ[(٧)]. إلى غير ذلك من أحوال أولئك السادة[(٨)].

ومعنى: ﴿نَنَالُواْ﴾ تعطوا وتصلوا، يُقال: نلتُ الشيء، أي: أعطيتُه ووصلت إليه، فالنيل العطية[(٩)]. وقيل: هو إدراك الشيء ولحاقه، وهما متقاربان، يُقال: نال ينال نيلاً فهو نايل ومنيل، والنّيلُ اسم لنهر مصر من ذلك؛ لأنه أجَل العطايا[(١٠)].

---

(١) ينظر: الكشف والبيان (١١١/٣)، الكشاف (٤١٢/١)، الكاف الشاف ص (٢٧).

(٢) الكشاف (٤١٢/١).

(٣) رواه الحاكم (٦٤٧/٣)، وأحمد في الزهد ص (٢٨٦) رقم (١٠٧٦)، وابن أبي حاتم (٧٠٤/٣) رقم (٣٨١٣)، وأورده في معاني القرآن وإعرابه (٣٠١/١)، والكشف والبيان (١١١/٣).

(٤) رواه ابن المنذر في تفسيره ص (٢٨٨) رقم (٦٩٤)، وأورده الزمخشري في ربيع الأبرار (١٦١/١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٨٣/٢) وقال: "وذهب قوم من العلماء إلى أن ما يحب من الطعومات على قدر الاشتهاء يدخل في الآية"، وأورده أيضاً السيوطي في الدر المنثور (٢٦٢/٢).

(٥) الربيع بن خثيم بن عائذ، الإمام القدوة العابد، أبو يزيد الثوري الكوفي، أحد الأعلام. أدرك زمان النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأرسل عنه، توفي سنة (٦٥)هـ. ينظر : الثقات لابن حبان (٢٢٤/٤) ؛ سير أعلام النبلاء (٢٦٢/٤).

(٦) رواه ابن أبي شيبة (١٤٨/٧)، وأبو نعيم في الحلية (١١٥/٢).

(٧) المقرور: هو من أصابه القرّ: أي البرد، والبُرْنُس: كل ثوب رأسه منه ملتزق به. ينظر: لسان العرب (قرر) (٨٢/٥) (برنس) (٢٦/٦).

(٨) ينظر لهذه الأقوال وغيرها: الجامع لأحكام القرآن (٤٩٦/٢).

(٩) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣٨٣/١)، لسان العرب (٧٠/١٥) مادة (عطا).

(١٠) ينظر: المفردات (نيل) ص (٥٠٩)، لسان العرب (نول) (٦٨٣/١١).

وتقدم تفسير البر واشتقاقه[(١)]، واختلفت عبارات المفسرين فيه هنا: فقال عبد الله بن مسعود، وابن عباسٍ، ومجاهد، وغيرهم: «البرُّ الجنة»[(٢)]. وذلك لأنها نتيجة البرِّ الذي هو عمل الطاعات، أو لأنها أعظم الحبور. والبر الخَيْرُ[(٣)]. وقال مقاتل بن حيان: «التقوى»[(٤)]. وقال عطية: «هو الطاعة»[(٥)].

وقال أبو مسلم: وله مواضع؛ فيقال: الصدق البر، ومنه: «**صدقت وبررت**»[(٦)].

---

(١) في تفسير سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ٤٤.

(٢) هذا قول ابن مسعود وابن عباس وعمرو بن ميمون والسدي ومسروق ابن الأجدع وابن جرير الطبري. ينظر: جامع البيان (٥٧٣/٥)، وابن أبي حاتم (٧٠٣/٣) رقم (٣٨٠٨)، وهكذا في الكشف والبيان (١٠٩/٣) دون ذكر ابن مسعود. والمحرر الجيز (٢٨٢/٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣٨٣/١)، وزاد المسير (٣٠٣/١)، والتفسير الكبير (١٤٧/٨)، والإملاء (٥٣٠/٢).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٣٢٥/١)، ونسبه لأبي روق ابن الجوزي في زاد المسير (٣٠٣/١)، و و ونسبه لأبي ذر الرازي في التفسير الكبير (١٤٧/٨).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٩٢/٢)، ونسبه لعطاء ومقاتل ابن الجوزي في زاد المسير (٣٠٣/١)، وذكره الرازي في التفسير الكبير (١٤٧/٨).

(٥) ينظر: الكشف والبيان (١٠٩/٣)، ونسبه لعطية ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٩٦/٢)، وذكره الزجاج عن بعضهم في معاني القرآن (٤٤٣/١)، وذكره الماوردي في النكت والعيون و لم ينسبه لأحد (٤٠٨/١)، ونسبه إلى الزجاج أبو حيان في البحر المحيط (٥٤٦/٢).

(٦) ورد في صحيح البخاري، في كتاب الطب، باب: ما يذكر في سَمِّ النبي ﷺ (٥٤٤١) (٢١٧٨/٥): أن الرسول ﷺ قال ليهود خيبر: «**مَنْ أبوكم؟**» قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: «**كذبتم، بل أبوكم فلان**»، فقالوا: صدقت وبررت... الحديث. قال الحافظ ابن حجر "برِرت": بكسر الراء الأولى، وحُكي فتحها، وهو من البرّ. فتح الباري ==

و﴿كِرَامِ بَرَرَةٍ﴾ عبس: ١٦. والإحسان؛ ومنه: بررت والديَّ. واللطف والتعاهد، ومنه: يبر أصحابه، إذا كان يزورهم ويتعاهدهم. والهبة والصدقة، ومنه: بره بكذا، أي وهبه له وتصدق به عليه[(١)]. ومعانيها متقاربة. وقيل: المعنى: لن تنالوا برً الله إياكم[(٢)]. و﴿حَتَّىٰ﴾ غاية للجملة المنفية، و«ما» موصولة، والعائد محذوف، أي من الذي تحبونه. و«من» تبعيضية[(٣)]، أي: بعض الذي تحبونه، [ويؤيد ذلك قراءة عبد الله: «**بعض ما تحبون**»[(٤)]، وهذه تفسير لا قراءة][(٥)]، وهذا لطف عظيم حيث لم يجعل الأمر معلقاً بإنفاق جميع ما يحبونه[(٦)]. وقال بعضهم: معناه / لن تنالوا برّ الله بكم إلا أن تبروا بإخوانكم وبالإنفاق عليهم من أموالكم وجاهكم[(٧)]. وبنحوه قال الطبري[(٨)]. [٦٥/ب]

==

(٢٤٦/١٠)، وما يُذكر من استحباب هذا القول: "صدقت وبررت" عند التثويب في أذان الفجر وهو قول المؤذن: الصلاة خير من النوم. فهو قول حكاه النووي في الأذكار، ليس فيه حديث. ينظر: الأذكار ص (٣٠)، سبل السلام (١٩٠/١)، تحفة الأحوذي (٥٢٥/١).

(١) ينظر: تفسير الراغب (٧١٢/١)، المحرر الوجيز (٢٨٢/٢).

(٢) ينظر: زاد المسير (٣٠٣/١)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠٢/٥)، مدارك التنـــزيل (١٦٦/١).

(٣) ينظر: الدر المصون (٣١٠/٣).

(٤) قراءة شاذة، وهي على وجه التفسير كما ذكر المصنف، ذكرها الزمخشري في الكشاف (٤١٢/١)، والرازي في التفسير الكبير (١٤٨/٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥٢٤/٢).

(٥) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف في الحاشية وعليه علامة الصحة.

(٦) ينظر: التفسير الكبير (١٤٨/٨).

(٧) روى الطبري في جامع البيان هذا المعنى عن أبي ذر -رضي الله عنه- (٥٧٥/٥)، وينظر: النكت والعيون (٤٠٩/١)، أحكام القرآن لابن العربي (٣٨٣/١)، التفسير الكبير (١٤٨/٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠٢/٥).

(٨) ينظر: جامع البيان (٥٧٣/٥).